

ماتريد اقبله فمف

تقدم

ربيع وجية

الطبعة الأولى

فهرس ربيع و حياة

هو الربيع
الزائرة الحسناء
كرهته

بيته
التمثال الأخضر
زوجة الفنان
ماتت لتحييا

على رأى أمى
الرائحة الزكية
تصنع

شجرة الجارونيا
الأرملتان

إهداء

لله الأهداء إلى أبي وذكري أُمِّي
فأصبح في ذكرى الحبيبين

هو الربيع

قلت : من بالباب ؟

قال : أنا .

— ومن أدراك أنى كنت أنتظرك ؟

— رسالتك .

— وأين كانت ؟

— فى سيارتى .

— أفى سيارتك كانت ؟

— بل فى قلبى منذ افترقنا .

— وذكرتى ؟

— كل يوم .

— ومن هى ياترى ؟ ما لون عيניה ؟ وما لون شعرها ؟

— لا أدرى ولا أريد أن أعرف سواك .

جلست إلى جانبه ، فى سيارته ، وأعطانى الرسالة ،

فقرأتها ، وكانت همسة الربيع كتبها يد امرأة .

خفت عليها ، فأخفيتُها في صدري ، ورفعت عيني فألفيتها
في كل مكان تملأ الوجود ، على جبينه ، وفي قلبي ، وعلى
صفحات النسيم .

وتساءلت عن صاحبة هذه الرسالة من تكون ؟ تلك
التي أنقذت حياتي الزوجية دون أن تعلم ؟
وخلتها

وخلتها فتاة شجرت بيد النسيم تصالحها فأخفت يدها
تحت الغطاء ، وسمعت صوت الصباح الباكر يناديها : أن
استيقظي . فتجاهلت النداء ، ومالت جفونها بالكري ،
وعاودت النوم الهنيء .

وتأمر الصباح مع النسيم على النوم فغلباه . وفتحت
نصف عين تستكشف اليوم الجديد ، فرأت إزار السماء
وردية طرز حرقه بالذهب وأعجبها ما رأت ، فعادت يبصرها
إلى غرفتها حاملة لون الورد ، وأهدى إليها النسيم العبير ،
ففتحت عينيها وفتحت قلبها مسكنا لاربيع .
وفي قفزة واحدة كانت وسط الغرفة ، تركل النوم وتنضو

عنها الكسيل ثم تعانق اللسيم فيطوقها ويحملها على أجنحته
إلى الطريق مرحة متهملة ، عيناها تضحكان وفمها يردد ألحان
قلبها ، وفي قرقة حذائها نفحات الفرح والحبور ، وراحت
تعدو في الشارع لأنها على ميعاد مع الربيع .

داعبت اللسيم فطاردها ، وتحدثت الشمس فأرسلت
عسجداً . غمزت بعينها للشجر فرقصتها ، ورنّت إلى
المارة فابتسموا وتبادلوا التحية ، وأومأت إلى المتاجر
فتفتحت أبوابها تستقبل اليوم الجديد .

إلى الشباب نظرت في عبث برىء فضحكوا .

وإلى الكهول رنت في خبث مستعجب فوضعوا الزهر
على صدورهم وتهودوا لذكرى الحب .

أشقراء هي أم سمراء ؟

أجميلة هي أم مجرد ساحرة ؟

أعابثة بريئة هي أم فتانة قاتلة ؟

لا أدري ولا أريد أن أدري

بل عرفتها .

هي الحياة يوم زفت إلى الربيع .
خطرت دلالات . . . نثرت زهراً . . . وهبت أملاً . . .
منحت حباً . . . أجابت نداء . . . واستجابت لدعاء . . .
وتجاوبت مع الأحياء فامتزجت الأرواح ونبضت القلوب
بأكسير الحب .
مرح تناثر . . . شباب تجدد . . . قلوب نبضت . . .
خطوات أسرع . . . أسهم طارت . . .
وكانت الدشوى ، وكان اللقاء ، وكان التجاوب ، وكان
الحب ، وكان الربيع .

الزائرة الحسناء

مشكلتي في هذه الحياة هي شغل المنزل ، فأنا لم أخلق لأن أكون ربة بيت ، أدبر شؤنه وأرعى من فيه . بل كان اعتقادي قبل الزواج ، أن رسالتي في الحياة ، هي أن أنظر بين الأضواء الخافتة والموسيقى الشجية ، في ثوب جميل وابتسامة غامضة ، أرمي سهام دلالي ، وأعد الضحايا .

ولكن أين الخيال من الواقع ؟ وما الذي أخذت من الحياة ؟ مكسبة ، ومنقضة ، وغسالة كهربائية ، وأربعة رجال واحد كبير وثلاثة صغار .

بدأت مشكلتي هذه في عام سنة ١٩٤٥ ، عند ما كنت أتنقل كالفراشة بين الأضواء والأزهار

يقولون - أن الرصاصة التي تصيبك لا تسمع دويها - وهذا هو ما حدث لي تماما . فبعد أن كنت حرة طليقة ، لاهم لي سوى التزين والتجميل واختيار الملابس ، رأيت

هشاما لأول مرة وتبدل الحال . أحبنى وباذلته الحب ،
وتعاهدنا على الزواج ، وظننت أنني أبرمت مع السعادة
حلفا لا ينقض ، ولم أدر - حين نظر إلى هشام بعينين
مشرقتين - أن الدهر يخدعني وأنتى أمضيت بيدي عقد
شقاوة لا ينتهى .

قل هى قسمتى ، أو نصيبى ، أو حظى من الحياة
قل هو التجاذب الجنى ، قل ما شئت ، لقد انتصر الحب ،
وتزوجنا ، وفتحت ذراعى . لأستقبل الشوك مع الورد .
من كان يدرى أن أزهار خطبتنا سوف تذبل بعد
الزواج ؟ وأن ضوء القمر سوف يصبح شررا يتطايّر من
عيني هذا الزوج العملاق ؟ وتتحول نجوى الحبيبين إلى
شجار مستمر ؟ .

من كان يدرى أن هشاما هذا سوف يصبح - بانتهاء
شهر العسل - شيطانا فى عيني ؟ يكره ما أحب ويغالى فى
حب ما أكره ؟ فأنا أحب النظام ، وأعبد الجمال ،
وأعشق الزينة ، وهو لا يخلق ذقنه ويخلع ملابسه فى أول

الليل ويرمى بها وسط أرض الغرفة ، ثم يقذف بنعليه فلا
يتلاقيان حتى الصباح !

وهو يهوى البحر ، ويعشق أمواجه ، والقارب المتأرجح ،
والرمال الندية ، فلا يطيب له العيش إلا في منزله القائم على
على شاطئ البحر . أما أنا فأكره الرمال الدائمة البلل وأمقت
الملح الرطب وأبغض القارب الذى لا يكاد الركب يطؤه
بقدمه ، حتى ينقلب بمن فيه - وأنا دائماً منهم - فيغطس هو
وأولاده ويسبحون حولي فرحين مهللين ، وأخرج أنا من
الماء كالفار المبلل !

وبينما يكتسب هو وأولاده لونا خمر يا جميلا ، أحترق
أنا كل يوم أمام الموقد ، ويتساقط جلد وجهى الناعم الذى
لم يخلق له سوى ماء الورد وقبل الحبيب .

أنا لا أكره الشاطئ ، ولا أبغض البحر ، ولكننى
أكتفى منهما بالترهة القمرية والهواء المنعش الذى يحمل إلى
موسيقى الأمواج مختلطة بهمسات المحبين .

أما هشام ، فلا يعترف بالشاعرية أو الموسيقى ولا يفهم

سوى الأمواج المتلاطمة العنيفة ، ويقلده أولاده فى كل
ما يعمل ، ويتبعونه أينما سار ، ويحبون كل ما يحب . فلا
غربة إذن إن شعرت أحيانا بأن هشاما وأولاده قد
تواطئوا على ، وأنتى أتوق إلى حياتى التى كنت أحيها قبل
أن يضمنى هشام إلى بحره ورماله .

و كنت أفرح كلما أتتني أخبار صديقتى تاريا ، فقد كانت
خطاباتها نفحة من شباب انطوى أو كاد ، وعودة إلى الأيام
السعيدة حين كنت أنزل إلى السوق لأشترى الجوارب
النيلون ودهان الاظافر ، عوضا عن الأقمشة الشعبية ولعب
الاطفال .

نعم كنت أحب أن أسمع أخبار تاريا ، صديقة الطفولة
وزميلة الدراسة والروح المرحية . وأحن لذكرى لعبنا
وعبثنا وأسرارنا التى كنا نتبادلها فى أثناء الدرس وصادقتنا
التي تعاهدنا على الاحتفاظ بها كأمن مافى الوجود .

لم أكن قد رأيتها منذ ست سنوات ، حين تركنا المدرسة
وعادت هى إلى أهلها وتزوجت من ملك الكبريت

كما كانوا يسمونه وكانت حفلة زواجها حديث الموسم .
ورحت أنا إلى منزل خالتي في زيارة قابلت أثناءها هشاما ،
وكان ما كان .

وفي ذات يوم بعثت إلى تاريا تنبؤني بزيارتها لي ، فسكنت
أطير فرحا ، وسبحت في عالم الذكرى السعيدة حتى تذكرت هشاما
وما عساه أن يقول ، وهو الذي يكره تاريا من صميم
فؤاده ، مع أنه لم يرها قط في حياته . وكأنه كان يخشى نفوذها
على ويخشى أن تفتح عيني فأرى أن الحياة ليست كلها مكانس
وأطباقا قذرة ، فكان يتحين الفرص أو يخلقها ليسخر من
تاريا ومن هن على شاكتها .
وأريته خطابها وأنا في المطبخ والاولاد من حولي
يلعبون . وكان ما توقعيت : ثار زوجي كالحيوان المجروح .
« أو تقصدين تلك المرأة ؟ » ورمى بالخطاب في وعاء
السلطة . « وهل تحضر إلى هنا ؟ . »

قلت في هدوء مدروس ، وأنا أخرج الخطاب من بين
الخيار والطماطم .
« تاريا هي أعز صديقتي ولا أدري لماذا أنت »
« أنا أعرف نوعها . خمر وأزهار . . ثم نفقة . »

« ألا تظن أنك تظلمها بعض الشيء ؟ لقد كان زوجها
سكيرا لا يكاد يفيق من غيبوبة حتى يقع في أخرى
أشد هولا . »

« لأن تزوجت امرأة مثلها ، لاصبحت بدورى
سكيرا مجرماً . »

« أنا أكره البنات . قال هاني . أكبر أولادى الذى
كان يتساق المكنسة ثم ينزلق عليها فى انتظار العشاء .
وهو نسخة طبق الاصل من هشام . »

« نعم ! نعم ! أنا أكره البنات ، ردد سامى ولدى الثانى ،
وهو الآخر نسخة طبق الاصل من هشام :

« تات تات ! » قال الصغير باسم وعمره ستة عشر
شهرا .

« اصغ لى ياهشام . بدأت محاولة التفاهم معه .

« لا لا لا ! » صاح الولدان معا ، والتفت اليهما أبوهما

مبتسما ، وقال بلمجة جديده ؟

صدقتم يا أولادى . احذروا النساء ، فانهن يأتين

بالكلمات المعسولة والطرق الشعبانية ، وما هي إلا لحظات حتى
ينج ١١ ، وأنزل راحته على المائدة بقوة مدوية . د لقد أصبى
الهدف . .

نصرخ الولدان في نفس الوقت د ينج ١١ ، وخرا على
الأرض صريعين .

وقام الأب مسروراً بدعابته ، وجر كلا منهما من ساقه
منبها إلى القيام ، والاستعداد للعشاء .

وجلسنا حول المائدة ، وطفقت أنظر إليهم في شيء من
القلق وأخيراً قلت :

د هشام : لم لاتأخذ أولادك إلى أحد الفنادق حتى
تنتهى زيارة تاريا إذا كنت تكره رؤيتها إلى هذا الحد ؟ ،
د كنت أتمنى أن أفعل ذلك يا عزيزتى ، لولا أسنان ابنك
باسم فقد تعوقه عن الأكل .

قلت : على كل حال ، أنا لا أستطيع أن أمنعها من المجيء الآن ،
وتذكر أنتى ، أنا الأخرى ، لى حقوق فى هذا المنزل وأظن
أنتى أستطيع أن أدعو صديقتى إلى بيتى ، وأن أتبادل معها

أخبار أصدقائنا المشتركين الذين طالما خرجت للتنزه معهم ، واختيار الملابس ، وارتداد السيئ ، والمطاعم الفاخرة . لقد تبدل كل هذا وتغيرت أنا .

« نعم لقد تغيرت » - قال بحده - والله الحمد . كنت مثلها إلى أن أنقذتك أنا ، وبعد عشر سنين ، سوف تصبحين أمراه كاملة بفضل إرشادي وتوجيهي .

بعد عشر سنوات يا صاحبي سوف أكون أغرب حالة وردت على مستشفى الأمراض العصبية . وعلى الرغم من هذا النقاش ، - قلت متملقة - « أعدكم بأنكم سوف تحبون تاريا ووجودها بينكم فقط أرجوك يا هشمام ألا تخجلني أمامها » .

* * * *

ما أن رأيتها حتى شمرت كان الأيام لم تفرق بيننا ولا طرفه عين ، وطار إليها قلبي يقبلها قبل أن تتعاق طويلا وقالت لي .

« إنك تشعين صحة وقوة يا سعاد » .

قلت : « أما أنت فقد زدت جمالا فوق جمال » .

قلت ذلك بكل إخلاص ، ولولا بعض التجماعيات تحت ما فيها وبعض الهزال لسكانت نفس الفتاة التي عرفتها ؛ فشمورها ما زال ذهيبا يتهدل فوق كتفين فائنين ، وابتنسامة التي تبدأ على الشفتين ثم تلتقل إلى سائر الوجه قد استقرت - كسابق عهدي بها - في العينين فأكسبتهما زرقة فوق زرقة ، ثم الرائحة المطرية التي تذكرك بشيء لا تذكره ، وكلها حاولت ، ابتعد عنك وتركك معذبا .

نعم كانت تاريا بنفسها ، فقبلتها مرة أخرى ، وقلت :
« وما هذه الملابس الرائعة يا تاريا ؟

وتشاءت صديقتي قائلة :

صديقتي يا عزيزتي ، لم تعد للملابس قيمتها التي كانت عندي ، ولم أعد اهتم بها وهذا هو سبب هروبي اليك التمس الهدوء والراحة وطمانينة القلب . . لقد سئمت حياة التوتر الشتا يد

الذي أصبحت فريسته . إنى أريد الرجوع إلى حياة
عادية وداعة لا تكلف فيها ولا ظهور .

وتصديقا لقولها ، قامت من فورها ، وغسلت عن
وجهها كل المساحيق والأصباغ ، وعققت شعرها إلى
الوراء ، ثم ارتدت ثوبا غاية في البساطة ، كمن يريد
الارتقاء على الرمال بلا كلفة أو تصنع .

وشعرت ، حين نظرت إليها ، أنها قد عادت بنا إلى أيام
الدراسة ، والمرح البريء ، وتبادل الأسرار .

جلست إلى جانبها وأنا أكاد أحترق شوقاً لسماع
أخبار المدينة ، ومشاكل الطبقات الراقية التي كنت أتمنى
إليها ، قبل أن يضمنى هشام إلى رماله وقلت :

« أحقيقة أن منزلك أخضر كله ، حتى الستائر وملاءات
الفرش ؟ وماذا حدث لصديقك الكاتب الذي حدثتني عنه
في خطاباتك الأخيرة ؟ »

« ثقي يا عزيزتي أن خبرتي بالرجال علمتني إنه ليس هناك

رجل واحد يستحق أن يشغل بال امرأة لقد افترقت
من زوجي منذ ثلاثة أو أربعة أعوام ولم أشعر . . .

« دعي عنك هذا الكلام . أو تريد أن أصدقك حقاً ؟
أم أغلقت قلبك عني ولا تودين مصارحتى بشيء ؟ ماذا
حدث لعازف السكبان ؟ وكيف انتهى موضوع الموظف
الكبير ؟ »

« آه يا عزيزتي ! أن الرجال . . . إنني أقابلهم هنا وهناك ،
وأدعي منهم إلى حفلات الكوكتيل ، والعشاء ، والملاهي ،
وقد يقع البعض في حبي ولكن . . . » ثم نظرت إلى بعينين
في لون البنفسج واستطردت قائلة .

« انني لا أكاد أشعر بأي عاطفة . لقد مات شعوري .
« هذا عجيب يا تاريا ، والأعجب منه هو أن يصدر
هذا الكلام منك أنت . لقد كان في نيتي دعوة صديق لزوجي
إلى العشاء . ولكنه خجول ، هادئ الطبع ، وأخشى ألا
يروقك مجلسه . »

« خجول هادى الطبع تقولين ؟ لو علمت اننى لم أعد
أطبق الحركة الكثيرة ، والحفلات الساهرة لقد سئمتها كلها
فلا المقاهى تجذبني ولا الرقص يسرنى ولم يعد يغرنى الشناء ،
أو تغرنى مقابلة أصحاب الملايين . »

« أرجو ألا تكونى جادة فى هذا ، فقد فكرت فى
استصحابك إلى بعض أماكن اللهو والتسلية ، وستكونين
شفيعى لدى زوجى ، لانه يكره الخروج ليلا والسهرة . »

« أشكرك يا حبيبتي على اهتمامك هذا ، ولا شك فى أنك
تحاولين ادخال السرور على قلبى الحزين ، ولكن لا سهر ولا
لهو بعد اليوم . نعم ، أنا أفهم ما تريدان أن تقولى : تاريا
غنية ، ولها أصدقاء عديدون ، وتستطيع أن تذهب أينما شاءت
وأنت تغبطيننى على هذا ، ولكننى لم أعد أشتهى شيئا . »

ونظرت إليها فى حيرة ودهشة وفهمت معنى نظرتى
فقلت . « نعم ، صدقنى فيما أقول . إن حياتك تختلف عن
حياتى كل الاختلاف . فعندك شيء ليس عندى . عندك
أطفالك الثلاثة ، وزوجك ، الذى يحبك ويحنو عليك ،

عندك شيء حقيقي محسوس . عندك ما يملأ فراغك ، .

قلت : أن زوجي لحقيقة مرة !

قالت : « إنه يحبك ، لا تنسى ذلك وعندك أربعة أشخاص

تتوقف حياتهم عليك ، وهم يكونون عالمك .

أما أنا فمن يهمني أن كنت أموت أو أحياء ؟

قلت : « ولكنني مازلت أعتقد أن هناك بعض المتعة في

السهر والرقص ورؤية وجوه جديدة ، .

قالت : كنت أرى بعينيك وأنا فتاة غريزة : كان للزهرة معنى

في حياتي ، وللمكالمة التليفونية تأثير الكهرباء ، وكان

الثوب الجديد سلاحاً جديداً أهاجم به غريماتي ،

وكنت أفكر كل يوم : هل أقابل اليوم فتي

أحلامي ؟ » .

قلت : « هذا ما أعني ، .

قالت : « وهذا هو الذي فقدت . لقد ذهب كل هذا . كان

انتظار ما في الخيب مثيراً مدهشاً ، وكان هناك الأمل

البراق . أما الآن ، فليس هنالك سوى سلسلة
حوادث متشابهة تتكرر كل يوم .

أفهمت الآن لماذا لا أريد الخروج من المنزل ؟
ولا أحفل بمقابلة أى رجل ؟ . لقد زهقت
روحي من الضوضاء والأضواء وما إليها .

قلت : وقد بدأت أن أصدقها - « كاتشائين ولكننى أنذرك
بأن الحياة هنا كلها على وتيرة واحدة وقد
تسامين . »

قالت : « قد تبدولك كذلك . أما أنا فإني أعطى كل ما أملك
لأن أجلس فى مطبخى ، قبيل العشاء ، أقشر
الجزر بدلا من احتساء الكأس تلو الكأس فى المقاهى .
أفضل ألف مرة ، أن أغسل قمصان زوجى ، وأن
أجاس بجانب سرير طفلى حتى ينام . »

ثم ابتسمت فجأة وقالت : « ولكن معذرة فقد
أطمت الشكوى وأكثرت البكاء . »
وأخذت أفكر فى كلمة مناسبة أرد بها عليها ،

وقد عز على أن تكون ينابيع المرح في حياتها قد جفت ،
ولكن حركة مفاجئة بالباب وفرت على مهمة التفكير ،
ورأيتهما وقد رفعت رأسها كمن تصغى ، وكان كل جسمها يعبر
عن الانتظار اليقظ . ثم سمعت خطوة هشام والأولاد
عائدين من البحر فقلت :

هيا بنا أعرفك بأسرتي .

ولكنها كانت قد سبقته إلى الباب والتفتت نحوى
تقول :

« معذرة فسوف أغير ثوبى ، ثم طارت إلى غرفتها التي
أعدتها لها .

وحزنت في قلبي على تاريا الحسناء البائسة التي لم تعد
تتذوق من الحياة حلوها أو مرها . تاريا التي تشغل
صورها صفحة المجتمع الراقى في معظم مجالات العاصمة
أتنى أنا لاجئه من وحدة مرة . وشعرت بعطف المرأة نحو
أختها الأقل حظا ، ثم سمعت هائناً يصرخ « النجدة !
النجدة ! أن امرأة في غرفتي . »

فذهبت اليه وزجرته ثم قلت .
« سوف تشارك شقيقك سريريه وتترك الغرفة

للسيدة » .

وتغافلت عن النظرة التي تبودلت بين هشام وأولاده ،
ثم ذهبت إلى زوجي ورجوته أن يستعمل نفوذه مع أولاده
حتى لا أخرج أنا مع صديقتي .

وما كدت أكمل كلمتي حتى رأيت الرعوس الأربع
تتجه صوب اليمين ، ثم تهود ، وقد ارتسمت على الوجوه
علامات الدهشة والذهول . فنظرت أنا الأخرى ورأيت
تاريا . لقد سقطت عنها كل علامات الضجر والفتور
وأخذت تسير الهوينى وكأنما تسير على سحابة من الفتنة
والغموض ، تصوب سهامها نحو قلب الرجل ، وتطالبه في
كل خطوة بخطوها بخضوع الرجولة لجمال المرأة الفاتنة ،
ونظرت منها إلى رجالى فوجدت أن السهم قد نفذ وابتسمت
في نخر قائلة .

« هذه هي تاريا هلموا لتحياتها »

فقال في دلال « وأنت هشام ؟ »

وذهبت إليه في خطى مسرعة ومدت إليه يدا بضنة لم
تعرف سكين المطبخ أو لسعة السمن فأخذها بلهفة بين يديه
ونظر في عينيها وقال :

« أهلا وسهلا ياتاريا » . بصوت لم أسمعه منذ شهر
العسل ووقف الطفلان ينتظران دورهما في التحية ،
وهما على أحر من الجمر . وكأنها شعرت بسحرها ، فنظرت
إليهما من تحت أهدابها الطويلة ، وابتسمت ، ثم قبلتهما
الواحد تلو الآخر .

وخشيت مغبة هذه القبل ، وخفت أن يصفعها الأصغر ،
ويقلده هائىء ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل نظرا
إليها ، وكأنهما يأكلان أحب أنواع الحلوى . وحتى باسم
وجدته يداعبها بطريقة الأطفال ، ويلطمها على أنفها بيد
ملؤها الطعام ، فاعتذرت إليها ، وحملته ، وذهبت به لأغسل
يديه ، وذهب الولدان يغتسلان من الرمال العالقة بهما من

أثر البحر ، وبقيت هي وحدها مع هشام الذى وقف أمامها مشدوها معجبا .

نظرت إليهما عن بعد ، وأنا أحاول تفهم هذا التغير العجيب الذى طرأ على زوجى ، وتركنى أنا حيرى بدورى . كنت مستعدة للدفاع عنها إذا ما أبدى امتعاضا عند رؤيتها ، أو إذا ما سخر منها ومن أصدقائها ، ولكن تطور الموقف بهذه الكيفية ، جاء مفاجئا لم أعمل له أى حساب . ولكن ألم تكن هذه طريقة كل رجل مع تاريا ؟ وشعرت بانقباض خفيف فى القلب ، عزوته - بلا شك - للمجهود المتواصل لا الغيرة . فلم أكن يوما من النساء اللاتى يغرن على أزواجهن وجعلت أقنع نفسى بصحة تعليل الأول .

وذهب هشام إلى المطبخ ، وتبعته هي ، وتلتها ضحكة رنانة عالية ثم عاد وهي إلى جانبه ، ومعه صينية عليها بعض المشروب . وناولنى كأسا أخذتها من يده ، وجلست منزوية ، وعادنى إنقباض الصدر ثم جلست ببصرى فى الغرفة

فرأيت ألوانها البهيجة تتضاءل أمامي ثم أمست شهباء ولكنني ،
على الرغم من ذلك ، تبيلت تاريا جليا وهي تمد يدها بلقافة
تبغ تريد إشعالها ، أو كأساً فارغة تطلب ملأها ، وهي تهز
ساقا عارية ، بديعة التكوين ، كمن أثملها وجود هذا الرجل ،
المفتول العضلات ، الذي هو زوجي !

جعلت أتأملها في صمت تام ، يكاد يسمع ، وكان لها
على تأثير الأفعى ، فلم أبد حراكا ، وقد أخذ مني الدهول
كل مأخذ . لقد رأيتهن جميعا على الشاشة : مارلين وبنى
دايفيز وماي وست . ولكن تمثيل تاريا كان أقوى وأروع .
كان سحريا وكان غامضا وكانت أنوثتها الكاملة جذابة مؤلمة
لأقصى حد ، فلم أستطع أن ألوم زوجي الذي جاس تجاهها
مذهولا ، كمن ضرب على رأسه بعصا غليظة .

ولما عاد ولداى هانىء وسامى - وقد بللا الشعر بالماء
وصففاه وغسلا أيديهما وصقلا الركب ، قلت مداعبة :
« أهلا بالفارسين العظيمين ! »

فلم يكترثا لتحيتي ، بل سارا بخطى ثابتة نحو تاريا ،

ووقفنا أمامها بنجمل ، فقالت :

« يا لكما من طفلين عزيزين ،

وانتظرت رداً سخيماً من أحدهما على الأقل ولكن

لا . بل نظرا إليها في شيء من العبادة ، وتقدم إليها هائياً ،

ولمس ثوبها في حياء وقال : « أنت جميلة جداً يا تاريا . أليس

كذلك يا أبي ؟ ،

فقال هشام : « نعم إن هذه حقيقة لا يمكن إنكارها .

وأحمر وجه تاريا وكأنها فتاة ينجلها المديح .

هبيت واقفة ، وبالكاد تماكنت شعوري ، فلم أقذف

بأثمن مصباح عندي ، وسط هذا المنظر المؤثر البديع ،

فقال هشام :

« إلى أين أنت ذاهبة ؟ ،

قلت بحدة : - « إلى المطبخ لأجهز العشاء ،

وما أن وصلت إلى هنالك ، حتى أتنى نغمات موسيقى

الرقص ، ونظرت ، فرأيت هشاماً يراقص تاريا ، وقد

أسندت رأسها على كتفه ، وكان ظهره نحوي فلم أر عينيه ولا

هو رأى عيني !

وعادت إليهما بعد هنيهة ، فوجدتهما يضحكان بسعادة ،
وقالت هي : « كنت أمرن زوجك على أحدث رقصة ،
ولم يكنه راقص بارع أتقنها بعد بضعة خطوات . أليس
كذلك يا هشام ؟ »

ونظر كل منهما في عيني الآخر ، ولم يعد لوجودي معهما
أى داع . فقلت : « لقد جهزت العشاء »
فظرا إلى ، وكان الطعام لم يخطر لهما على بال .
قلت مرة أخرى « هابوا إلى العشاء فقد وضعت الطعام
على المائدة » .

وما أن دخلنا إلى غرفة الأكل حتى ركلت هشاما بقدمي
وقلت من بين أسناني :

« ماذا دهاك ؟ ألم تر شقراء قبل اليوم ؟ »

فقال في هدوء : « عزيزتي : أين وضعت الزيتون ؟ »
وبينما أنا أخرج اللحم من الفرن ، طار زوجي إلى
مخدعنا ، وغير ملبسه إلى بذلة السهرة ، وكان فعلا أنيقا .
واختفت هي بدورها ، وعادت في ثوب من التل الأبيض

أكسبها بهاء فوق بهاء . أما أنا ، فلم أغير ثوبي القطني البسيط ،
الذي ارتديته في الصباح ، ولم أضف إلى زيلتي ، سوى جرح
في الإبهام من سكين المطبخ ، وألم خفيف في أسفل الرأس ،
وجلسنا أخيراً إلى المائدة ، وجلست تاريا ، النجمة
المتألقة في سماء بيتي الملبد بالغيوم ، إلى جانب هشام ، وقد
تبدلت حباتها الفارغة العديمة الغور ، فأصبحت مشيرة ،
حسية ، براقية ، مليئة بالنكات ، والأقاصيص ، والدعابة ،
وكان هو يستمع إلى حديثها بذكاء وسرور : يضحك لنكاتهما
ويصفق إعجاباً بتقليدهما لأصحابها ، وجلس الولدان ينظران
إليها ، وكأنهما يتأملان شجرة عيد الميلاد !

عدت بزاويتي وزوجي إلى غرفة الجلوس ، وقلبي مفعم .
قلت في نفسي : « اليوم الجمعة وغدا السبت وماذا عساني
أن أفعل ؟ »

قد تمضي تاريا عندنا يوماً أو عشرة أيام فكيف أحتملها ؟
وبينما أنا مطرقة أفكر سمعتهما ينادياني فهزنت رأسي
بقوة كمن يحاول أن يستفيق من غيبوبة أو نوبة ذهول وقلت :

« نعم ؟ ماذا تقولان ؟ »

فقال هشام : « كنت أعرض على تاريا الذهاب إلى بعض
الملاهي في مدينتنا المتواضعة عليها تجدها مسلية أو مضحكة ،
ابتسمت في تكلف ثم قلت : لقد سمعت تاريا المقاهي ،
والملاهي ، وما إليها ، وأتت إلينا لتستجيم »

فقاطعتني بسرعة ، وقالت - موجهة حديثها إلى هشام -
« ولكنني أريد أن أذهب . » وضحكت في دلال ثم
أردفت « لست أدري لماذا ، ولكنني لا أتعب مطلقاً من
رؤية المناظر الجديدة والوجوه الجديدة ، واطن ان
فكرتك صائبة جداً يا هشام . »

ونظرت إلى نظرة شاملة ثم عادت تخاطبه .

« ولكننا لم نتمرن تمريناً كافياً على رقصتنا الجديدة »

فهب واقفاً ، وانحنى امامها ثم قال : « أتولينني شرف
الرقص معك يا تاريا ؟ » ومد يده يساعدها على القيام فقامت
متباطئة وقالت :

« سأغير ثوبي أولاً ، استعداداً للخروج » ، واختفت .

ووجدت نفسي وحدي مع زوجي لأول مرة منذ وصلت
تاريا فقلت : هشام ! هل تستطيع ان تخبرني ...
وسمعت خشخشة الحرير آتية من غرفة تاريا وأرهفت
سمعي ثم قلت في نفسي :
هذا هو ثوب الحرب يا تاريا ترتدينه لقتل النساء وفتنة
أزواجهن . . .

وبدلا من أن أكل حديثي مع هشام سرت
اليها ووجدتها تلتقي ثوبا قرمزيا من الحرير رائها فقلت : -
وقد أمسكت بإحدى حقائبها في يدي :
« من العيب أن تسافري في هذا الثوب يا تاريا .

قالت : « ولكنني ما كدت أصل إلى هنا » .

قلت : « لقد أطلت البقاء واستنفدت كرمي » .

قالت في سخرية : « هل غرت على زوجك بهذه السرعة » .

قلت : لا أظن . أنتي لا ألومك على إنسجامك مع زوجي

وأطفالي ، ولكنني أحبهم أنا الأخرى . وإذا اشتبهت عشا

للحب يا تاريا ، فاذهبي ابنيه لنفسك بحبك ودموعك . أما هذا

العش فليس للبيع أو للإيجار .

قالت : « من الغباء يا عزيزتى أن تظهرى لزوجك أنك
تخافين عليه لهذا الحد ، فهذا أسرع طريق لإبعاده عنك .
قلت : « فكرى فى رجالك أنت الذين هم فى حياتك
ودعنى وشأنى مع رجلى . »

قالت — وقد بدأت شجاعتها أن تنزعزع —
« وماذا عسانى أن أقول لهشام ؟ إنه ينتظرنى ،
قلت : « لا تشغلى ففكرك بهشام ! سأقول له أنك دعيت
لتلبسى تاجا من أزهار الليمون عما قريب وفضلت الرحيل ،
قالت « أقسم لك أنى لم أقصد سوى الدعابة البريئة ،
فكان ردى على ذلك أن جمعت ملابسها توطئة لوضعها
فى الحقيبة فأخذت ترتيبها فى صمت .

وجفاة شعرت وأنا أساعدها فى ترتيب حقائبها بعطف
شديد على تاريا الجميلة فريسة المظاهر الخلافة التى اعتادت
حياة المحبون ولم تعد تستطيع الاستغناء عنها .

تاريا المخلوقة العجيبة التى صيغت من ذهب له بريقه ولمعانه
وجاذبيته وغلوائه وله أيضا جموده وتفاهته إذا قورن بحب

الزوجة أو دموع الأم أو ابتسامة من طفل .
مر كل هذا بخاطري ، وأنا أساعدها في حزم أمتعتها ،
ثم في حمل حقائبها إلى السيارة المنتظرة بالباب ، ولم يكن معها
سوى ست حقائب ، وصندوقين للقبعات ، وقصة طريفة ،
بلا شك عني ، وعن بيتي ، تحكى مع التمثيل والتجريح على
جماعة الخلان !

وقفت بجانب السيارة وبدأت رائعة حقاً وبرقت عيناها
بدموع لم تذرفها فقلت في صوت خافت مليء بحبي لها وقد
تلاشى الغضب :

« تاريا . اذهبي فانتقي لنفسك زوجا ، ورفيقاً كريماً ،
يؤنس وحشتك ويملاً فراغ حياتك ويعلمك التضحية .
وليبارك الله هذا الزواج فترزقي أطفالا تجودين بروحك من
أجلهم ، ثم عودي إلينا أما وزوجة » .

فابتسمت ابتسامتها الغامضة ثم قالت من يدرى ؟
وعانقتني ثم صاغت هشاماً وركبت السيارة وانطلقت كالسهم
ورفع هشام إلى حاجبيه في سؤال كاد يرسم على شفتيه ولكنني
لم أمهله بل تأبطت ذراعه وقدمته إلى منزلنا .

(بهيعة)

الفصل الأول

(طفولة بهيعة)

قال الجلباب الأزرق للجلباب الأحمر :

— « ماذا تخفي وراء ظهرك » ؟

— قطعة من الخبز .

— أنت كاذب . فلو أنها أحمر ، هذه حلاوة الموسم .

— وما شأنك أنت إذا أعطيتني أمي دكا وحصاناً .

— وهجم الجلباب الأزرق على الأحمر

— هذا ديكى .

— كلا !

— وهذا حصانى .

وقذفت الصبية ذات الجلباب الأزرق بالطفل أخيها
ذى الجلباب الأحمر في حوض به بعض الماء فابتل ، وعلا
صراخه ، فأنى صوت الأم من داخل المنزل متسائلا .
لم يبكي أخوك يا بهية ؟ وما به ؟
أغاظني يا أماه ، فوضعت رأسه في الماء .

هرعت الأم نحو وحيدها تنقذه ثم تضمه إلى صدرها ،
وتجفف دموعاً اختلطت بماء الحوض ، ثم ذهبت إلى ابنتها
تؤنبها وكانت إذ ذاك في الثامنة .

لم فعلت ذلك يا شقيمة ؟
فمالت بسذاجة الطفولة : —

أردت إغراقه لأنه ينافرني محبتك ، ونفخى والدى .
طأطأت الأم رأسها ، فهل لذلك من جواب ؟
حقاً إنها لغريبة الأطوار ، تريد لنفسها من الحياة كل
شيء ، ولم يكفها مالديها من ملابس وحلى ، أولم تشتتر لها
جلباباً أزرق تحسدها عليه بنت العمدة ؟ أولم تطعمها

أدسم الفطائر وأكبر نصيب من اللحم ؟ أولم يعطها أبوها
جنيهاً ذهبياً في العيد كان حديث أهل القرية ؟

ترى ماذا تريد هذه الفتاة وقد أصبحت على وشك
الزواج ؟

ذهبت الأم إلى مطبخها ، حيث كانت تطهى ألوان الطعام
لزوجها ، متسائلة غير متفائلة ، وصممت على أن تذكر الأمر
لزوجها عند سبوح الفرصة ، ولكنها لن تجعل الأمر أهمية
خوفاً من غضبه ترى هل أساءت تربية طفلها ؟ أو فضلت
ولدها الوحيد عليها ؟ وما مصير ابنة كهذه ؟ إنها تخشى هاتين
العينين المتقدتين وتلك الابتسامة الساخرة ، إنها لشديدة
المراس قوية الإرادة .

أنظري كيف تعامل صديقاتها بنات القرية ، تزعم
الالعب ، تعطف وفي عطفها كبرياء وتلهو وكأنها تلهو
بالزميلات لامعن .

اللهم أستغفرك ، لم لم تعطني فتاة أفهمها ، تقبل النصيح
وتخضع إذا ما أخطأت ؟ ولها في أبيها أكبر نصير ، يضحكك

إذا داعبته ويقدم لها ماتشتهى ، نخورا بها .

سمعت الرجال يتسامرون فى المنذرة ، وكان حديث زوجها بهية وكيف تلعب ، وكيف تدرس ، ولما طلبها العمدة لابنه سخر منه أبوها ، وقال : كلا فابنتى أرفع من أن تزوج ابنك الطائش . أنى لنا أن نناسب عمدة البلدة ولو أنه عمى ، وايسر فتاتى بهذا الجمال حتى يتزلف لها كبار أهل القرية : أنفها كبير منتفخ ، ولكن جبينها ناصع ، وعيناها سودوان ، ويداهما بضتان ، لن أسمح لها باتلافهما فى الطهى والغسل ما دمت على قيد الحياة ، ابنتى ابنتى كم أود أن أعيش حتى أراك فى منزل الهناءة وأحمل أطفالك بين يدي ، وسالت دموعها فاختلطت بما فى القدر وسبحت فى عالم لا تعرفه إلا الامهات ، فهو مزيج من الصراحة والكبرياء والانانية والفخر ، ولن تبوح به الأم ولن تعترف بعالمها هذا ولا لأقرب المقربين ، ولكنها إذا ما انسجمت مع وعائها وموقدها أو طمست غسيلها ، أو إذا ما استوت على مقعدها ، أو اضطجعت على فراشها نادت عالمها فأتاها فسبحت فيه ما شاء لها

الهوى ، وهذا جزاء الامومة ، وهذه مكافأتها أينما كانت ،
وحيثما حلت ، غنية أو فقيرة ، عاقلة أو طائشة . هو طفلها
حبيبها ، رمز آمالها ، ونخر حياتها . ابتسمت وسط دموعها ،
وظلت الابتسامه على شفيتها ، إلى أن سمعت طرقا على الباب
يلبثها بعودة زوجها فجففت يديها على طرف جلبابها ،
وهرعت إلى الباب وقدار تسم على وجهها الخضوع واستقبلته
بوداعة وذلة .

أتى زوجها وكان جباراً عاتياً ، وتلفت يمينه ويسرة ثم
قال : أين بهيمة ؟ فقالت سوف تأتى حالا لتقبل يدراك
وذهبت تناديهما بالطف العبارات ، بحثت فى المنزل فلم تجدها
وظلت تبحث إلى أن رأتها على غصن شجرة مستلقية شاحبة
وكأنها تتأمل فى وجه السماء . فقالت بهيمة : لقد عاد أبوك
وهو يسأل عنك . تعالى إلى المنزل وقبله فتدخل على قلبه
السرور . لم تحر البنت جواباً ، بل ظلت فى مكانها كأنها من
خشب ، وعادت الام وجلة . ليست هذه فتاة أحلامي ،
وعادها الشك مرة أخرى : فهزت رأسها تطرد الهواجس

وتفكر فيما تقول لزوجها ، وقررت الذهاب إلى مطبخها
تفاديا من مقابلته .

ولكن بهية لم تكن بالفتاة المتسردة الشريرة ،
بل طفلة وهب الله لها عقلا وقلبا كبيرين وكثيرا ما نشبت
الحرب بين هذين ، وتركتهما شاحبة منهكة .

ذهبت بهية بعد محاولة اغراق شقيقها إلى مكانها المفضل
فوق شجرة الجوز مرتبكة حائرة واستأققت على ظهرها وتوسمت
حنانا في إحدى السحب فحيتها ، وسألتها السحابة :

لم أردت قتل شقيقك وهو عزيز وهو صغير ؟
فقلت لأنني لا أطيق أن تقبله أمي أو يلتفت إليه أي ،
ربما مات يابسة فتعديمين شريكك في ألعابك وخططك ،
ومن يسير وراءك حاملا حذاءك إذا ما أردت خوض
المصرف ؟ ومن يلعب معك إذا أغضبت ابن عمك أو أغضبت
الصديقات ؟ ألا تحبينه يابسة ؟

نعم أحبه ولسكنه ينسازني عطف أي ، وإذا ما نمت
سمعت والدي يتكلمان عن مستقبله وهو مازال في الرابعة

بينما أنا في الثامنة ، ألت أكر ففها منه وأقوى عزيمة ؟
وأستطيع رفع السكره برجلي وتسلق أضغهم الأشجار بينما
هو إذا تسابقنا في العدو ، يبكي ؟

ولكنه صغير يابيهية ، وأنت شقيقته الكبرى ، ويجب
أن تأخذى بيده فلا يسقط وتخفى دموعه إن بكى ، فهو
يحبك ويناديك إذا لم يرك ويبكى إذا لم يجدك .

— مسكين يا أخى اترى هل مات ؟ هل الفرق يفضى إلى
الموت ؟ فيصبح أبى ثاكلا ، ويبكون ويولون كما حصل
عند جيراننا يوم مات ابنهم فؤاد ؟ ونظرت إلى السحابة
فوجدتها قد زالت فخافت من وحدتها والشمس المحرقة « هل
يعود فى ظلمة الليل ويخيفنى ، ويشد أذننى ، أو يقطع أصبع
رجلى ، إذا لم يكن تحت اللحاف كما تقول الجارات ؟ »

سوف أخرج أصبعى عند النوم ، وأضع عليه ملحا
حتى لا أنام فلا يأتى ويؤذنى ، وسوف أقول لوالدى فترشدنى ،
ولكنى أظنها لا تفهم الكبير من الأمور ، هى تحببى فعسلا ،
لقد أعطنى قرطاً جميلاً ، وبرقعاً محلى بالصففا ، وعملت لى

جيباً في جلبابى لأضع منديلى ولأكنى أفضل الحجارة ويبيض
العصافير ، ولأكن أنى " لأمى أن تفهمنى ، فكل همها زجرى
إذا ما اتسخ جلبابى ، تريدنى مرتبه أسلم على صديقاتها بأدب
فى صوت خافت إذا ما التفتن إلى " وإلا وجب على الاختفاء
يا لها من حياة مرة وقد تحكى لأبى فزجرنى ، وهذا ما لن
أطيعه أنى رجل ضخم يحملنى على صدره إلى سريرى إذا
مانمت على الأريكة ويعطينى نقودا بخير علم أمى ويأخذنى
معه على الفرس إلى مقر عمله فيقابلنى المستخدمون بكل
حفاوة وإكرام ، وعنده خاتم ماس شديد اللعان فى الشمس
وقد وعدنى به إذا ماتعلت القراءة والكتابة وإذا ما قلت
الشعر مثل بنات العرب ، أنا عربية عظيمة المحتد ، شديدة
المراس حلوة العبارة ، سريعة الخاطر ، وعندما أكبر سوف
أسكن فى خيمة فى الصحراء ألبس ثوبا أسود فضفاضا وحراما
عريضا أحمر وأسير بخيلاء ، ماذا قالت الطفلة الأعراية
عندما رأت الرجلين على أكمة

أيا عبد الإله ويا على أنى يدعو كما تتغذيان
بلاط أصفل طبخته أمى وسمن فيه طعم الزعفران

كانت تقول اللام بدلا من الراء ، ولكنها كانت أصغر مني
سنًا ، وسوف أقرض الشعر وأصبح سيدة عظيمة الشأن ،
وسوف أتكبر على بنات عمي ، ولن ألعب مع ابنه بعد اليوم ،
فأنا شاعرة ، وبرقت عيناها النجلان ، وأحمر وجهها من
عظم أفكارها ، ونزلت من الشجرة تسير بخيلاء بخطوات
ثابتة نحو المنزل ، وما أن رأت والديها وشقيقها حول المائدة
حتى نسبت الشعر والنثر ، وجلست بين والديها تلتهم طعامها
كالطفلة الجائعة التي كانت . وكان من عادة بهة أن تداعب
أباها في الصباح فإذا ما هم للنزول إلى عمله استوقفته وعلى
وجهها علامات الغضب المصطنع « ألا تقبلني يا أبي ، فيأتي
صاغراً ، ويقبلها ثم ينزل بعض الدرجات فتأمره بالعودة
لتقبل عينه اليمنى ثم اليسرى ، ثم أنفه ثم فمه ثم تدعوله
بسلامة الذهاب وسلامة العودة ، وكانت الحياة ذهبية وحنانة
إلى أن حدث يوما ما جعل الفتاة تفكر .

عاد والدها يوما من عمله مبكراً وقال لأما :

وردت بريقة تلي : بمرض والدك نخذي طفليك وأسرعني

إلى بلد تلك. فجمعت الأم ملابسها وذهب الأب يودع أسرته
على المحطة ، وما أن تحرك القطار حتى تدلت بهية لتلحح أباها
لآخر مرة فرأته متأبطاً ذراع سيدة مقنعة لم ترها ، فارتدت
إلى مقعدها بجوار أمها ولزمت الصمت إلى أن وصلوا منزل
جدها فقابلهم هاشما باشا وقال :

هذه مفاجأة سارة يا ابنتي .

قالت : نعم .

قال : هل تشاجرتما .

قالت : كلا يا أبي .

قال : أو هل تركت زوجك وسحده ؟

قالت : هذه إرادته .

ولم تطق بهية صبراً فأخرجت من جعبتها سراً ظننته خفي
على أمها ، ولكن الأم زجرتها قبل أن تسكمل حديثها
وفهم الأب ، فأشاحت بوجهها حتى لا تلتقي عيناها بعينين
شديديتي اللعنان دقيقتي الملاحظة . وبعد أسبوعين قال الجد في
لطف : «عودي الآن يا ابنتي إلى بيتك . فليس هناك ما يضيرك

فذهبت وتَحيرت بهية وسألت في شيء من الحياء : أمي : أما
رأيت السيدة الجميلة ونحن في القطار ؟ هل ذهبت مع والدي
إلى المنزل ؟ أو تعرفينها ؟

قالت : نعم .

— من هي إذن ؟

— هي زوجة أبيك الأولى ، وإذا وجدتني في المنزل عند

وصولنا فخييها ، وتأدبي معها ، فهي بمنزلة أهلك .

— كلا إن أَرْضَى بك يدِيلة ،

فربنت الأم على كتف ابنتها وقالت بلطف ودعة : فتاتي

هذا يَرْضَى أباك وهو مالك رقبتي .

مالك رقبتي ؟ ما معنى ذلك يا أمي .

— سوف تعلمين يا بنيتي متى حان الوقت ،

ولما علمت ذكرت أمها وتذكرت وفاءها ورددت هاتين

الكلمتين إلى آخر حياتها .

وعادت الأسرة إلى المنزل وكان هدوء ، وكان سلام ،

وعادت الحياة نضيرة ذهبية ، ووجدت بهية في شقيقتها الرضيع

خير سبيل لاشباع أمومتها الناشئة . أما شقيقتها أحمد

فتركته وشأنه ، وساد السكون وساد السلام .

* * * *

مضت على هذه الحوادث بضعة أعوام وكبرت بهية
وبدأت تحس بما لأنوثتها من تأثير على أولاد العم وأبناء
القرية وتهافت الشبان لخطبتها ، قالت لأمها في ثبات :

« كلا يا أمي . أريد أن أصبح شاعرة »

وغضب الأب وزجر :

« ما هذا الذي تقولين يا فتاة ؟ أو صلت بك القححة إلى هذا
الحد ؟ ألسنت والدك ولي سلطة تنفيذ أوامري في بيتي ؟
كيف ترفضين الزواج ؟ أو ما عسى أن يقول أهلي وخلاني ؟
شاعرة تقولين ؟ وما هذا يا آنسة ؟ إذ هي فكري وأعطيني
جواباً قبل غروب الشمس ، وإلا فلست ابنتي ولست
أعرفك . أتريدن لي العار فيقال ان ابنتي لم يطلبها أحد ؟ »
ومزق الرجل ملابسه ودخل غرفته هائجاً محزوناً ، ولكنه
لم يكن يعرف بهية . نعم لقد دللها وأعزها ، ولكنه لم يدرك
أن وراء كلماتها الرقيقة وعدوبتها النادرة صخوراً لا يقهر

أما هي فهزت كتفها ثم ذهبت إلى كتابها وجلست تقرأ فيه
غير آبهة لشيء ، من ذا الذي قال : طريق العلم صعب المنال ،
ومن طالب العلم سهر الليالي ؟

وأتى البريد بجواب لها من صديقة استملته بقولها .

وجعلت مرآتي جبين دفاتري

وجعلت من نقش المداد خضابى

فعضت على أصبعها غيرة وأسى وقالت : لأصبحن

شاعرة والله لأصبحن شاعرة ، ومضت تقرأ ديوان الحماسة

بقوة وحمية ، ولم تدرك غروب الشمس أو شروقها ولم تريدأ

خشنة أضناها الغسل والتعب تصع أمامها مصباحاً قوياً ،

وتتمم كلمات هي طالبة الأم تبارك ابنتها ، ولم تكن لتدرى

ما دار بينها وبين أبيها من حوار ، ولم تكن لتظن يوماً أن

أمها تجرؤ أن ترد على أبيها بل تخاطبه نداً لند بل تنصحه

وترشده ولكن المرأة تزود عن طفلها ذود الأسد عن

عرينه ، وبجأة يتحول خوفها من زوجها إلى حنان وشفقة

على ابنتها فتقوى وتقسو على الرجل من أجل فلذة كبدها .

ذهبت إليه في هديرها المعتاد ، ورأته وقد وضع رأسه
بين يديه كمن برأسه ألم فقالت : لا تكتئب يا صديق فالأمر
هين ، هون عليك . فإن ابنتي بحقة .

ولم يجرؤ على مخالفتها ، تلك التي طالما أسلى عليها إرادته
فأذعنت ، بل رفع نظره إليها في هديره يحاكي وداعتها ،
فقالت : ابنتنا صغيرة . لم تبلغ سوى الثالثة عشرة ، وليس
هناك من عجلة فلم تبلغ سننا يشينها معه عدم الزواج .

لقد بدأنا قرناً جديداً وعرفت بنات تزوجن في سن
العشرين ، ولسنا من الفاقة بحيث نخشى القيل والقال ، أو لست
تدرى أن الفتاة إذا ما تزوجت ذهبت بضارتها واعتزازها
بنفسها ، وأصبحت أما تفكر في بيتها وتقسو على أبيها وأُمها ؟

دعها يا رجل تدرس وتتعلم فتصبح نحر بيتنا وزهرة
شيوخنا . أنسيت آمالك الواسعة ؟ لم تشجعها إذن على درس
القرآن والشعر ، دعها . دعها فسوف لا تندم ، قم واغسل
وجهك وأد صلاة المغرب ، ثم عد وخفف عنها فلا أخاها
إلا باكية .

فأخذ يدها وقبلها ، وكأنه خجل من غضبه فقام وفعل
كما أشارت ، وخرج من المنزل ثم عاد نحو منتصف الليل ليرى
نوراً في غرفة ابنته ، وسمع نبرات عذبة كأنها صلوات
الرهبان . رأى فتاته محشمة تقرأ القرآن فقال :

اللهم زدها من نعمتك ، حرام على إذا وقفت بينك وبين
العلم ، ابنتي : سيرى سيرى إلى الإمام .

وقابلته زوجته فقالت : تأخرت سيدى فأين كنت؟ قال :

قابلت صديقاً استشرته فى أمر بهية فأرشدنى إلى مدرسة
عملها السلطان سوف تذهب إليها وتشرب من منهل العلم
ما شئت .

فقالت : « حسن » .

وفى الصباح الباكر طرق أبوها على بابها وقال : أتريدى
الذهاب إلى مدرسة تكونين بين زميلاتك زهرة نضرة .
قالت بلى : وطوقت عنقه بذراعها فذكر الطفلة وبكى ،
ثم قال بصوت أجش : إذن تهيأى ، ولانذهب سوياً بعد أسبوع .

الفصل الثاني

في مصر

جلست باركر في مكتبها بالمدرسة تستقبل أولياء الأمور كعادتها في بدء كل عام ، وكانت سيدة متقدمة في السن تكذب عيناها المتقدتان بياض شعرها ، كانت تستقبلهم وتحسن استقبالهم مقدرة ظروف كل . تعطف على الفتيات وتعطف على أولياء الأمور وما كادت تدخل عليها فتاة مبرقة في ثوب أسود فضفاض حتى قامت تحيها بلطف وتسألها عما تريد . وكان مع الفتاة أبوها يحاول شرح حال ابنته ورغبتها في العلم محاولا إخفاء نغمة بها ، فلم يخف على السيدة لا هذا ولا ذاك . ولما فرغ من الكلام قالت :

تقول إن ابنتك مبتدئة ولكنني أخشى وضعها في الفصل الأول فتخجل من الصغيرات ، قال : أعملي ما تريدن فهي ابنتك . فأنبرت الفتاة وقالت : جرييني في أكبر فصل وثقي بأنك سوف لا تندمين ، ثم تراجعت بضع خطوات ونظرت

إلى السيدة فرأت تلك أن عزيمة الفتاة تحاكي عزميتها هي
ورأت شهاً قوياً بين شخصيتيهما فقالت بغير تردد : فليكن .
واحتفظت بها في مدرستها .

وذهب الأب يبشر الأم بظفر ابنته على السيدة العظيمة
في مصر ، وأصبحت بهية حديث أهل القرية ، فقال الرجال نعم
الفتاة ، وقالت النساء مفتونة بنت مفتون ، كان الأجدر بها
أن تلتفت لأمر منزلها بدلاً من عبثها بالسكتب والشعوذة
وحار الشبان في أمرها وتحسرت الفتيات ، وهي عن كل هذا
غافلة . أما أمها فبعد أن نجحت في إرضاء ابنتها شعرت بأنها
قد أدت رسالتها ، فلزمت فراشها ، لأن الحيوية كانت قد
تركتها منذ أمد بعيد .

وفي ذات يوم ورد خطاب من بهية لأبيها تبشيره
بنجاحها بل بتفوقها ، وذهب به إلى زوجته ليفرح قلبها
وقال : ابشري .

فقالت : هل عادت ابنتي ؟

قال كلا هذا خطاب منها وفيه إليك أجمل تحية .
فاختطففت الرسالة من يده وجعلت تقرأها وتقبلها وهي

تبيكي لفرط سرورها ثم أخفت وجهها وقالت : بهية وداعاً ،
ولفظت نفسها الأخير والرسالة ما زالت في قبضتها .

صرخ الزوج المكاوم فهرع ابنه إليه كما هرع إليه كل من
بالدار وقال : لقد انتهت وأنا الذى جنيت عليها بقسوتي
وحبي للمجنون ، والتف حوله أهله وذووه يخففون من ألم
المصاب ولكن أنى لذلك الرجل التمس العزاء وهو جان أثيم .
كان يعبت ويلهو بينما تعمل هى وتحنو ولم تؤنبه يوماً
أو تزجره ، أو اه لو عادت إلى : أه لو لم أكن ماجناً ، ماذا
أقول لبهية ؟ وكيف أحتمل صمتها ، وهنا تذكر الطفلة زاهية ،
فطار إليها ووجدتها تلعب فى هدوء تحت شجرة وارفة ،
وابتسمت له فكاد قلبه ينفطر ، وأتت بهية عليه وهو حامل
زاهية فقالت : الخطب جليل . قال نعم : قالت أين هى ؟ فأشار
فى صمت ، وذهبت بهية تقبل يدين طالما ربتا على كتفها
أورفعت إحداهما شعرها المبعثر على جبينها تمهيداً لقبلة
ناعمة ، ولكنها لم تبتك .

قبلت جبيناً عليه صفرة الموت ، وآثار الشباب ما زالت

باقية « أی حبيبتي وداعاً ثم سلاماً ثم قم قلباً مفعها بالآسى »
وغطت وجهها الذى أحبته وذهبت إلى مخدعها تبكى بذلة
وحسرة . لقد فقدت أمها .

وعاد الأب كسير القلب مكتئباً وقال : « بهيمة :
ما مصيرى فى الحياة وقد فقدت كل أمل ؟ »
فجالت : « أبى لقد أحببناها سوياً كل بطريقته ،
وعدمناها سوياً فلنشدد إذن ، وكما اشتركننا فى حبها فلنشترك
فى بكائها ، وابقاء ذكرها بيننا عا طره ، ولنذهب إلى مصر
معا ، فأصير أنا وزاهية أمين صغيرتين تحنو علينا ونعتز بك
تعال نحمل عبء الحياة سوياً وذكرى عا طرة فى قلبينا تختبئ ،
تعال لنعمل لنا عشا وديعاً هادئاً ، فأنا اليوم أملك وكنت
بالأمس ابلتك .

وكان : وأدركت بهيمة عظيم مسئوليتها وإنها لشمعة
لغيرها تحترق ، ولكن شبابها وحبها لمن رحلت دفعا بها
لأن تعمل ما عملت .

أصبحت بهيمة فردا فى المدينة بعد أن كانت بالامس
زينة القرية ، وتعلمت وتفوقت ونالت من الشهادات أرقاها

وعاشت مع أبيها وزاهية وأحمد في جو ملائمة هي بالمعطف
والتقوى والجمال .

وسميت بهية بعلمها وأدبها على زميلاتهما من بنات المدينة
وجعلت تحاج الرجال في غير خجل ، وتباريهم في قرص
الشعر وقوه الخطابة ، وتخرجت معلمة ، فقالت لأبيها :
« كفاني نفراً فقد أصبحت معلمة » .

الفصل الثالث

الحب

بدأت بهية حياة التعليم بثبات لا تخشى الحاضر ، مؤمنة
بالمستقبل ، وتبادلت مع أبيها مركزه ، فأصبحت المهيمنة
على المنزل ، وهو طفلها : يحب المجون ، ويتوق إلى شباب
ما كان أجمله ، ومضت بهية تكدر وتكتسب مهارة
بنفسها ، صريحة في قولها ، قوية في إيمانها ظلت بهية قروية
رغم الحصار ، ولم تمسها المدينة بتهتكها ، ولم تلوثها بسم

ريائها . كانت تعمل ، وكانت تعلم ، وكان أساتذتها يوماً ،
واليوم زملاء لها ، يمدحون شدتها وغيرتها على العمل ، وكانوا
إذا ما استعصى عليهم أمر احتكموا إليها . واسترشدوا بها ،
فكانت تجيبهم بحياء جم ، وتواضع لا تشوبه سخرية ، ولم
تكن تنزهو على أترابها بعز أو جاه ، وكانت تؤدي الصلاة
والزكاة كشأن كل مسلمة شديدة التمسك بأهداب دينها ،
وتحلت بكل فضيلة حتى احترمها الجميع رغم حداثة سننها ،
وكانت تعتر بهذا الاحترام ، وتبذل النفس والنفيس في سبيل
الاحتفاظ به ، وظل الاحترام المتبادل رائدهما ، فلم
تضحك مرة بل اكتفت بابتسامة مشرقه جدية صافية ، ولو
عرفت ما في الحياة من مجون وجنون لضحككت وضحككت ،
وأضحككت وعبثت للنهاية ! ولكن هذه بهية الفتاة الموهوبة
تعلمت والعلم عزيز ، فعز عليها ألا تجعل منه معبوداً كريماً
خليقاً بكل احترام .

وظلت على هذه الحال مدة طويلة ، حياتها غنية
بالادب والشعر ، مليئة بالعمل والتقدير ، أما عاطفتها الجامحة

فكانت تتطلب المزيد متمردة ، ولكنها لم تصرح بذلك حتى لنفسها ، لأن العلم أعماها فاختلف عليها الأمر وظلت في فراغها مذهولة .

جلست إلى مكتبها يوماً تداعب القلم ، وتخط بين آن وآخر كلمة ، ناظرة إلى النجوم تارة وإلى الأرض تارة إلى أن ملأت الصحيفة فرمت بالقلم واستلقت على فراشها ونامت . وفي الصباح المبكر سمعت أختها تطالع كلمة خالتها المر الثمين فعجبت ثم قالت : -

أعبدى ما تقرئين يا شقيقتي ، اسمعيني . فقالت الثانية :

رأيت النجوم في السماء تتألاً ، وقد افتر ثغرها عن ابتسامة جذابة ، مبعثرة على بساط السماء كأنها الدر المشور فسألتها : أسييدة أنت في حياتك ، غنية في أفكارك ، مريحة طروب ؟ أولا ينقصك شيء ؟ أولا يعثر بك بعض الملل أحياناً ؟ وفجأة رأيت نجماً صغيراً يتألق ، ويرتجف في جهة نائية فوددت لو استطعت أن أسر إليه بكلمة تشجيع ووددت لو استطعت أن أختطفه وأضعه بين يدي فيدفاً ويطمن . . .

فقلت لأختها « كفى كفى فالوقت متأخر ولا بد لي من
الأسراع في النزول . أكتبه هذا أنا أم عن يدي ؟

وابتسمت لنفسها خلسة ثم قامت تحقق النظر في مرآتها
التي قالت لها « لست جميلة يا بهية ، فحسبك ضخم وشعرك مجعد
وأنفك كبير يستحيل معه الحسن ... ولكن عيناى سودوان
شديدتا اللعان ، ترى هل صب فيهما النجم من بريقه ؟

هذه دعا به يا بهية ، لاتأبى لها بل تأبى للذهاب إلى
عملك . وهنا هزت كتفها بدلال المرأة المستملة الانوثة ،
وذهبت إلى مدرستها تلتقى على الفتيات مرة أخرى محاضرات
في الادب والشعر ، غنية في كلماتها وافكارها ، ووجهها كالقناع
لم يكشف قط عن أسرار روحها .

عادت بهية إلى غرفتها ، وجلست تطالع في كتبها وهي
تفكر أسعيدة أنا ؟ نعم ولا هل ينقصني في الحياة شيء ؟ كلا
وألف كلا ، ولكنها كانت تعرف في قرارة نفسها أنها كاذبة
وأنها كانت تبحث عن مكمل لنقص في حياتها ، وكبر عليها
أن تبوح بهذا حتى لنفسها !

جلست في ليلة قيظ في شرفتها ، وأحبت الليل وأمنت
له ، واحتجبت تحت ستره ، وأخذت تقرأ بصوت مرتفع
ديوان يزيد بن معاوية وهو يشيد بذكر حبيبته ، فقد راقها
في عزلتها أن تقرأه ، وما لبثت أن فطنت لشخص يرمق
شرفتها ويمسح بعينه لفرط تأثره ، فقد كان صوتها عميقاً
ذهيباً ، يبدأ بحلاوة ثم يختم بدمعة من القلب صادرة .

نظرت إليه ثم تطلعت خلسة إلى نجم الأمس فوجدته
يرنو إليها ، فشعرت بوجهها يلهب من الخجل ، فقامت
لتوها ، وأغلقت نافذتها بعنف استنكاراً لفعلة ، وودت
لو استطاعت أن تقول لجارها هذا ما يحول في خاطرها ،
أو أن تقذفه بأثقل حجر تأديباً له على جرأته وتهكير
صفوها ، وأخذتها ثورة من الغضب الشديد أعقبها لوعة
وأسى .. ألا يستحي الشباب ، أو لا يحترم الناس وحدة
امرأة ليس لها من حطام الدنيا سوى دنيا شعرها ؟

وسمعه يضحك فشارت ثائرتها من جديد ، فذهبت تنظر
إليه من بين خشب النافذة لأنها كانت تريد أن تتأكد من

شككه ومظهره وهندامه وسخوته ، حتى تصفه لأبيها بكل دقة
وتستشير حميته ضد هذا الشاب المفتون ، ولم تكن هذه أول
مرة ينتهك فيها حرمة وحدتها ، فطالما اعترض طريقها على
الدرج المشترك بين شقتيهما ، وحاول تحيبتها فأعرضت عنه ،
وتفرست في وجهه جيداً فراعها جمال عينيه ، وأحببت سمات
وجهه فصممت على الانتقام منه .

ولما أتى الصباح جلست تجاه أبيها على مائدة الإفطار
وسألتها كهادته . كيف أمضت ليلتها ، فجاء ردها مقتضياً جافاً
بعض الشيء ، فعجب أبوها ونظر إليها من طرف عينيه ولم
يتكلم ، وخجلت هي من نفسها ، ولكنها احتفظت بسرها
وغارت عليه حتى من أبيها وصديقتها .

وحرصت بعد ذلك على إحكام نافذة غرفتها حتى يتسنى
لها دراسة هذا الشاب دون أن يراها ، وفي ذات يوم بينما هي
تصعد الدرج إلى منزلها صادفت هذا الشاب نفسه يعترض
طريقها ، ويحاول تحيبتها ، فما كان منها إلا أن صفعته على
وجهه ، وصعدت هي السلم درجتين درجتين ، وما أن وصلت

إلى شقتها حتى طرقت الباب بشدة ، وما أن فتحت حتى اندفعت
إلى الداخل وارتمت على أقرب مقعد ، وأجهشت بالبكاء ،
فزاع أبوها وسألها السبب ، فراعته أن يرى ابنته المتزنة القوية
تبكي ، وعاد السؤال فأخبرته بما فعل الشاب ، وكيف أدبته
على فعلته الشنعاء . فقال الأب : ما دمت قد زجرتك فما الداعي
لبكائك ؟ كان الأجدر به هو أن يبكي ... ولم يكن يعلم أن
ابنته كانت تبكي لأنها في صراع نفسي شديد ، كانت تعاني
من الحب آلاماً مبرحة ، وكان حياؤها يمنعها من أن تبوح
بهذا الحب ، ولطمت الشاب خوفاً من أن ترد تحيته بقبلة
تتم عن حبها الملتهب .

وفي عصر ذلك اليوم أتى زائر يريد مقابلة الأب ،
وما أن دخل إلى غرفة الجلوس حتى عرفت فيه جوارها
الوسيم ، فتوارت وقابله الأب وعلم منه أنه أتى يطلب
يد بهيمة .

فقال الرجل : « الأمر إليها فانتظر هنيهة » .

ودهش الشاب وقال « ألسنت والديها ؟ »

— قال نعم وليكننى لا أرغم ابنتى على الزواج فامها رأيها
الذى احترمه .

— قال الشاب : أخشى أن تردنى لسوء تفاهم وقع هذا
الصباح .

ففهم الأب وضحك ثم قال « هذا شأن الغواني يا بنى » .
وذهب الاب إلى بهية باسماء وسأها متخابئاً : ماذا بعد
الصفح يا بهية ؟

قالت : الصفح يا أبى .

قال : وما ثمن البشرى ؟

فطوقته بذراعيها .

كرهته

ما كدت أرى الرجل حتى كرهته ! وكرهته بقوة دافقة
فيأضه جارفه .

كان أجنبيًا عني ، فلم يسكن من أقربائي أو زملائي ، ولم
يكن ثمة داع لهذه السكراهية العمياء ، البعيدة عن أي تعليل .
حملت فيه عبر المقاعد الخالية في المقهى وكرهته ! ولم
أدر لماذا كرهته .

وتساءلت عن السبب ، وحررت في الجواب ، فلم تكن ثمة
غيرة أو تنافس ، كما لم يكن ثمة ثأر أو نزاع على إرث .
أذلك لأن رياح الخماسين العاصفة المتربة قد ضاقت بها
صدرى فشار القلق في نفسي ؟ لا ... فقد كان شعوري بهذه
السكراهية أقوى من أن تثيره ربح عاصفة أو يؤججه قلق حائر
كانت السكراهية ، وكانت البغضاء ، وكان المقت ، وكان
الشنآن ، كل هذه مجتمعة وبأقوى معانيها .

كان الأحمق يرى أن أكره خادم المقهى الذي أفرغ

نصف مشروني في الصينية قبل أن يصل به إلى مائدتي ا ثم
أفرغ النصف الآخر فوق سترتي الناصعة البياض ا

وكان الأجدد بي أن أوجه نظره إزدراء إلى رجال
الأعمال الصليح وإلى نساءهم ذوات الشعر المصبوغ الذين
جالسوا و جلسن حولي منهمكين في جدال لا تبنى عنيف .

واسكني لم آبه لهذا ولا لهؤلاء ، ولم أكسرة سوى
هذا الأجنبي .

قضيت ليلتي منتقلا من مقهى إلى آخر ، أشرب كأسا
هنا وكأسا هناك ، وامتلا صدرى بتراب السهرم الناعم القاني
ومع ذلك شعرت بنشوة الوحدة السكاملة في مدينة صاخبة ،
ولذلك لي أن أكون هكذا وحيدا ، وأحببت وحدتي وقدمتها
وزاد مع كل كأس إحساسي بالعزلة التامة عن العالم المحيط بي ،
حتى شعرت أن هوة سحيقة قد فصلت بيني أنا الشارب المنزول
الصامت ، وبين جميع الشاربين الضاحكين العابثين .

كنت قوى الإحساس بأنني نكسرة بينهم ، ومع ذلك فقد
كنت سعيدا بأن أكون هكذا ، حتى رأيت ذلك الغريب الأجنبي

أفرغت الكأس ، وطلبت أخرى ، وحاولت دراسة
الرجل الذي جلس بجسدي ، والذي كرهته من صميم
قلبي ووجداني .

كان نحيلا أسمر ، حسن الهندام ، عادي المظهر ، لا شك
أنه واحد من آلاف نزلاء القاهرة الذين يتكلمون ست
لغات بطلاقة ولا يجيدون إحداها .

وكان الخدم يدورون حولنا في حركات حلزونية حاملين
الشراب ، وكان النساء يصلحن ما أفسده الخمر والدهر في
غير حياء ، وكان الرجال يحفضون نهرات العرق المتجمعة في
تجاعيد الوجوه ، ويبدلون مواضع أرجلهم في سامة ومال .
أما هذا الأجنبي ، فقد جلس في هدوء متزن ، فيه الترفع
والكبرياء ، وفيه العزلة التامة ، والمتعة الكاملة .

جلس يشرب مستقلا كل الإستقلال وحيدا على مائدة
وحيدا . وحيدا ، قلت في نفسي إنه مثلي .

وعندما قارنته بحالي . أدركت لماذا كرهته .

كان هو الآخر في المقهى يشرب وحده .

لم أعد أتمتع بشعور الوحدة الكاملة اللذيذة القاسية التي
كنت أشعر بها حتى اللحظة التي لمحتة فيها .

لقد انتهك هذا الرجل حرمة خيالي ، واقتحم على ملكوتي
وحدثني المزدحمة بأفكارى وتأملاتى ، وكنت أود الاحتفاظ
بهذا كله لى وحدى .

وفى أنا جالس فى هذا المقهى كما جلست فى مقاه أخرى
مشابهة فى تلك الليلة ، سخر منى هذا الرجل وسلبنى عزلى
وحدثنى الحبيبة إلى نفسى ، ولم يعد غريباً ، أجنبياً عني ،
بل غدا قريباً ، بل توأماً .

لم أخاطبه ولا هو حدثنى ، ولكننى عرفته كما أعرف
نفسى .

لقد وجدت فيه كل خصائص النفسية ، سلوكى ووجهة
نظرى .

جلس كما كنت أجلس متكئاً على رخام المائدة ، لا ينبس
ببنت شفة ايرشف كأسه فى سكون حتى تفرغ فينقر عليها

بأنامله نقرأ خفياً فيسرع نحوه الخادم بأخرى مترعة وكان
دائم التدخين .

وكان كل حركة من حركاته كانت مدبرة مدروسة
فأنت متزنة أنيقة تجلي فيها حب الظهور الصامت المتعالي .
كان يشهر بنفس اللذة التي كنت أشعر بها أنا قبل أن
يسلمني إياها ، وأصبح متفرجاً ، واحداً من الجمع ولم أعد ذلك
الشارب المنعزل الفريد .

كنت فريداً وحيداً ، في عالم فريد حالم من صنع خيالي ،
أغار عليه أن يشاركني فيه أحد .

والآن عرفت لماذا كرهت الرجل ، وحنقت عليه ، ولم
تخفف معرفتي للسبب مقتي للرجل .

وكأنما أحس هو الآخر بما أحس به ، ونفر هو الآخر
بما نفرت منه فاهي إلا برهة حتى كان يرمقني بنفس النظرة
الذي كنت أرشقها بها ، ووجدتني - وأنا أحيا في عينيه -
أرى نفسي وأقرأ أسرارى المودعة في رأس رجل آخر .

ولم أطق صبراً فرميت السهم الأخير وانطلقت نحو الباب
ولكنه كان أسبق مني إليه .

وجدت في مكان حين رماني بنظرة نفاذة طويلة مشتعلة
وشعرت حينئذ كأنما عرف كل منا الآخر طوال حياتنا .

.....

التمثال الأخضر

شبلية مكونة من أربعة فصول .

ماجده ، سامى . محمود ، ربرى . الدكتور أنور .

كاظم بك .

الخطبة

ماجدة فنانة موهوبة تجيد النحت . تزوجت من سامى وهو شاب غنى من أسرة عريقة وظال سعيدين لمدة ستة شهور ثم أصيبت بذهول فجأة وهى الآن بمستشفى الأمراض العصبية وتحت إشراف الدكتور أنور .

محمود وزوجته ربرى صديقان حيان لماجده وسامى وهما مع سامى - يبحثان باجتهاد أسباب ذهول ماجده ويدرسون حياتها خطوة بخطوة علمهم يرون بصيصا خافتا ينير لهم الطريق وأخيرا يستطيع سامى بمساعدة كليهما ، وبفضل حبه الشديداً وزوجته الوصول إلى إنقاذ زوجته والعودة بها إلى حياة غنية سعيدة .

الفصل الأول

في المستشفى

سامي . الدكتور أنور

الدكتور : صباح الخير ياسامي بك . أنا آسف اتأخرت عليك
شوية . شفت الست ؟

سامي : أيوه شفتها يادكتور . والحالة زي ماهي . معرفتنيش
وبس عنها مبهلقة في الفراغ .

الدكتور : آه .

سامي : قولي يادكتور بصراحة : إيه رأيك في حالتها ؟

الدكتور : أنا أكون صريح جداً لما أقول لك إني لسه مش
فاهم حاجة عنها .

سامي : يعني حالتها ميئوس منها ؟

الدكتور : أنا ما قلتش كده أبدا . أعمال فين الإيمان ، والثقة

بالله ؟ إحنا لازم يكون عندنا صبر .

سامي : صبر أكثر من كده ؟ دي بقي لها عشرة أيام بالحالة دي . وأنا أجننت خلاص . ملح بس بأي حاجة !

الدكتور : — يتقسم بعطف — أهو لما تعترف بأنك اتجننت ، تبقى في أشد حالات الاتزان . اسمع يا ابني أوصف لي مرة أخرى بمنتهى الدقة حالتها عند ما وصلت بيتك ووجدتها بالحالة دي .

سامي : يبلغ ريقه — أولا أنا كنت مسافر في ماهورية ، وتغيبت ثلاثة أيام ، ورجعت البيت متلف لرؤيتها . وأول ما دخلت من باب الجنيحة ناديت « ماجده » . ماجده ، فلم تجر إلى كعادتها ، فطلعت بشوش نحو أودتها عالشان أعمل لها مفاجأة ، وبصيت لقيتها بشاور بإيدها ، زى اللي بتبعد حاجة عنها ، وتقول « كاه إلا سامي » . فقلت « ماله سامي ؟ » فاتجهت برأسها نحوى ، وجمدت عيناها ، ولم ترد . وغلبت بعد كده أكلامها ، وأشاور لها بدون فائدة : وحضرتك عارف الباقي .

الدكتور : كل ده يثبت لى إنك بتحب زوجتك قوى ومهتم
بصالتها .

سامى : دأنا مش بحبها يادكتور ، دأنا بأعبدها ، ومستعد
أضحى بحياتى فى سبيلها .

الدكتور : عال ، عاوز بقى تساعدنى مساعدة جدية فى علاجها ،
أولا قول لى بصراحه كل ما تعرفه عن تاريخ هذه
السيدة ، بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى .

سامى . : مفيش أى حاجة مشينة فى حياة زوجتى يادكتور .
دى أشرف مخلوقة أنا عرفتها .

الدكتور : طيبعى إن كلامى ده يجرحك شويه ولسكن ما تنفاس
إنى طيب ولازم أعرف كل ما يخص المريض بتاعى
علشان أقدر أحاول علاجه . ششوف يا ابنى : فيه
مؤثرات كثيرة تصادفنا فى حياتنا وقد تمر علينا من
الكرام فلا تتأثر بها أو يزول أثرها تماما على مر الزمن
إما إذا كان الشخص مرهف الإحساس زى الست
بتاعتك ، فإن أى مؤثرات تؤلمه لحد كبير ، وتعمق فى

نفسه ، وتزداد الحساسية مع ازدياد الألم ، فينطوى
على نفسه ، وقد يحاول الهرب تخلصاً من هذه الآلام ،
فتسكون النتيجة صدمة عصبية تتخذ أى شكل معين ،
ومن يدري ؟ وعليه فأنا أحاول الآن معرفة ما إذا
كان هناك مثل هذه المؤثرات فى حالة السيدة ماجده
مثلاً هي كانت مخطوبة لشاب أحبته من قبلك ، ثم مات
فى حادث احتراق طيارته . هل ذكرته لك ؟

سامى : — بحده — لكن ده مات من ثلاث سنين ، واحنا
بقى أنا ست شهور متزوجين ، وفى منتهى السعادة .
يبقى ما علاقته بموضوعنا ؟

الدكتور : معاك حق . على كل حال فسكر انت على هذا النهج
وابحث عن خبايا حياتها ، ومتى وجدت أى شىء ،
ولو تافه فى نظرك ، اتصل بى ومتنصاش إننا عاوزين
نخرجها من نوبة ذهولها دى بأى ثمن .

سامى : واقدر أبقي أجى أشوفها ؟ .

الدكتور : مافيش مانع طالما إن وجودك مايرعجهاش . يربت

على حكتف سامى بعطف — خلى بالك إنك أكبر
ركن فى علاجهانفليك قوى ودقيق ونهارك سعيد .
سامى : أشكرك يادكتور . نهارك سعيد مبارك . (يخرج) .

الفصل الثانى

فى منزل سامى ربرى ومحمود ثم سامى ر فى غرفة الجلوس
فى انتظار سامى .

ربرى : ياروحى ياماجده ! إسم الله على حسبك ! دا البيت
فاضى بشكل ! .

محمود : غلبان والله سامى . دا ما صدق أنه وجد فتاة أحلامه
وشوفى حصل إيه ؟

ربرى : وأنا مش فتاة أحلامك ؟

محمود : أيوه بس انت لسه ما تجننتيش .

ربرى : ياسلام ! .

محمود : — مبتسم — طيب اتجننتى . مبسوطه ؟

يسمع وقع أقدام سامى فى الطرقة

ريري : هس : سامي جاي .

يدخل سامي .

سامي : أهلا ريري — أهلا محمود — إزيكم ؟

محمود : إزيك انت ؟ . إزي ماجده ؟ . شفتها النهار ده ؟ .

سامي : يهن رأسه بيأس — زي ماهي . والدكتور الظاهر
مهندوش أمل . . .

ريري : يا شيخ إيه الكلام ده ؟ هوا قال لك كده ؟ .

محمود : متصدقيش . ده سامي بيحول . ده حتى الدكتور أنور
بالذات رجل موزون جداً .

ريري : أمال بتخوفني ليه ياسامي ، مش تطول بالك ؟

شوف وشك بقي شكلك إيه وأنت خسيت النص من التفكير .

محمود : إنت عارف ياسامي طبعاً محبة ريري لأختها ماجدة

وصداقتهم الطويلة وطبعاً أنا في خدمتك مش عاوزة

جدال فهل في أي حاجة ممكن نقوم بها ؟

سامي : والله أنا محتاج فعلاً لخدمتكم بس أسخجلتوني بعطفكم

يا جماعة .

ريرى : ومستنى ليه ؟

محمود : دانت تأمر ياخى .

سامى : مادام الأمر كذلك اقعدوا معاى ناكل لقمة وندرس
حياة ماجدة خطوة بخطوة . . ربما ...

محمود وريرى : بكل سرور .

ريرى : عاوز بتدى منين ؟

سامى : من أول ما عرفتيا .

ريرى : شوف ياسيدى : إحنا اترينا سوا فى البلد فى نفس
المدرسة . وبعدين ، ظهرت مواهب ماجدة فى النحت
وأنا أردت أتعلم الاختزال ففكرنا فى المجيء سوا
مصر ، وفعلا ، أخذنا شقة ، ورتبناها على مزاجنا ،
وكل واحدة فينا انهمكت فى عملها .

ويوم من دول دخلت على ماجدة وفى إيدها حبة
حجر خضراء ، وقالت لى شوفى أما أخلص ده رح
أقدمه لنيل الجائزة الأولى ورح أخذها إن شاء الله .
وفعلا تمت نبوءتها .

سامي : كان شكله إيه التمثال لما خلاص ؟ .

ريرى : كان تمثال لفتاة مرحة ، جميلة ، ضاحكة ، وسمته "فول"

التمثال الأخضر أو الشباب الضاحك .

محمود : لكن أنا مشفتوش ده . بتقولى أخذت عليه الجائزة

الأولى وازاي ماحتفظتش به ؟ .

سامي : لا أنا شفته . وموجود حاليا عند عم كاظم بك زوج

والدتي .

وبعدين ؟

ريرى : نسبتكم فى الكلام ، فى أثناء عملها فى التمثال تقدم

لخطبتها طيار شاب ظريف جدا وأهلها وافقوا وبعد

الخطبة ببضعة أيام ، مات فى حادث احتراق طيارته .

وكانت الصدمة شديدة عليها لدرجة أننا خفنا على عقلها .

محمود : يكون ده السبب فى حالتها الراهنة ؟ .

ريرى : مؤكد لا لأنها بعد مدة عادت للعمل بنشاط عجيب .

وقالت لى إنها وهبت نفسها للفن ، وكرمت التمثال

الأخضر وعادت المياه إلى مجاريها . وبعد فترة بسيطة ،

قابلت أنا محمود ، وتزوجنا ، وبطبيعة الحال تركت لها
الشفقة ، وانقطعت الصلة ببعض الشيء لغاية ما تقابلنا
مرة أخرى في معرضها وقابلناك هناك .

محمود : وبمناسبة معرضها ده ، أنا عاوز أقول انه كان مفزع
للغاية . كانت كل التماثيل اللي فيه مؤلمة تنم عن حزن
دفين . أو قلب كسير . مش مابعدة المرححة كما صورتها
لى ربرى . يبقى ما السر فى هذا الانقلاب ؟ وهل هو مفاجىء
أم له مقدمات ؟

سامى : برافو ! أهـسو أنت دلوقت وضعت يدك على الورع
الحساس .

كل خسوفى إنى أكون دفعتها على الزواج منى أو أن
أهلها أرغموها على قبولى كصفقة رابحة . ف راحت
المسكينة ضحية طمعهم أو إلحاحى بينا قلبها مازال متعلقا
بخطيبها الأول .

ربرى : وإيه اللى هيا لك الكلام ده بقى ؟ ده بعيد قوى .
أنا بأقول لك إنها كملت تمثال الشباب الضاحك وعملت

غيره بنفس الروح بعد موت خطيئها قبل ما أسديها
أنا .

محمود : في حادثة مفقودة . ماذا حدث حتى أن عملها المرح
الضاحك انقلب إلى هلع وفزع ؟ لابد من مؤثر هنا .
سامي : العجيبة يا محمود إن كلمة مؤثر ومؤثرات كانت حديث
الدكتور النهارده معاي .

محمود : طيب خيلنا ندرس الفترة بين ترك ريبي لها
وزواجك منها .

سامي : إلا متعرفيش حاجة عنها في الفترة دي ياريري ؟
ريبي : والله أنا سمعت طراطيش كلام .
محمود : إيه الكلام الفارغ ده وألسنة السمات اللي عاوزة القطع ؟
ما انتيش مقدرة الموقف ؟

ريبي : على كل حال دي صاحبتى أنا مش صاحبتك انت وأنا
أقطع ذراعى إن كانت عملت حاجة غلط لكن ...

سامي : كلميني بصراحة إحنا مش في وقت مجاملات .
ريبي : شوف ياسامي أنا سمعت - والله أعلم - إنها كانت

بُتَخْرِجَ مَعَ رَاجِلٍ عَجُوزٍ يَزُورُ الْمتَّاحِفَ وَيُعَارِضُ
الْفَنَّ ثُمَّ تَطَوَّرَتِ الْعِلَاقَةُ بَعْضُ الشَّيْءِ فَاصْبَحُوا
يُرَوِّحُوا السِّينَا

سَامِي : وَقَدْ خَفْتُ صَوْتَهُ - وَبَعْدَينِ ؟

رِيرِي : لَاحِظْ إِنْ عِلَاقَتَهَا دِي لَا تَدِلْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ . أَنَا عَارِفَةٌ
مَاجِدَةَ حُرَّةِ زِي السَّيْفِ . دِي فَلَاحَةُ أَصِيلَةٍ بِسَ كُلِّ
غَلَطَتِهَا أَنَهَا تَغَالَى فِي وَزْنِهَا لِلْأُمُورِ :

سَامِي : إِزَايَ يَعْنِي ؟

رِيرِي : يَعْنِي مِثْلًا تَعْتَبِرُ أَنَّ نَظْرَةَ خَارِجَةٍ مِنْ أَيِّ رَجُلٍ تَجْرَحُهَا
وَأَنْ مَجْرَدَ لِبْسِهِ تَدْنِسُهَا كَانَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا تَقْدِرُ تَحْكِي
نَكْتَهُ خَارِجَةٍ قَدَامِهَا ؟ مَشْ مُمْكِنٌ وَأَحْنَا كُنَّا أَوَّلَ
مَا تَدْخُلُ نَقُولُ « الْمَجْدُ لِلَّهِ » فَتَبْتَئِسَ هِيَ وَتَقُولُ « وَالْعِزَّةُ
لِصَاحِبِهَا »

سَامِي : آهْ لَوْ تَرَجَعُ الْإِبْتِسَامَةُ الْعَزِيزَةُ دِي تَانِي ؟

مُحَمَّدُ دُورِيرِي : طَبْعًا تَرَجَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَمْتَعُوا بِشَبَابِكُمْ . إِحْنَا

قائمين بق فيه أى حاجة؟

سامى : لا أنا ائقلت عليكم جداً وفى الحقيقة مش لاقى
غيركم قدامى .

ربرى : إحنا تتمنى أى خدمة تصبح على خير .

محمود : تصبح على خير ياسامى .

سامى : تصبحوا على خير

الفصل الثالث

فى منزل سامى فى الصباح

يسمع فى الخارج تصفيق ثم نداء : بوسته بوسته ا

سامى : يرد أيوه

يتناول الرسائل ويقلبها .

جواب من البنك لما جدة ؟ الله ادى سمعت ألف جنيه

وَأنا مسافر ياترى ليه؟ أما أقوم اسأل عنها .
يسمك بسماعة التلفون .

ألو . ألو مستشفى الأمراض العصبية ؟
الدكتور أنور موجود؟ أنا سامى . لا والله يادكتور
أنا بحثت كثير وموجدتش غير إنها عملت
تمثال أخضر سمته الشباب الضاحك وكلمته بعد
موت خطيبها الطيار تعب تور يه لها ؟ أيوه طبعا
أقصد أجيبه بكرة . . وهو كذلك . . سعيدة
يادكتور . (يضع السماعة)
يسمع طرق بالباب .

ادخل . عمى كاظم بك ؟ أهلا وسهلا .

كاظم : إزى الحال يا بنى ؟

سامى : زى ماهو والله يا عمى عمالين ندور على أى حاجة
نساعدنا بيها إنما مش لاقين .

كاظم : يهز رأسه أسفا والله يا بنى أنت متعرفش قد إيه أنا
بالوم نفسى على وقعتك دى . أنا اللي جريتك على
معرفتها واتسببت فى مقابلةكم لسن مين كان يعرف إنه

حيث حصل كده ؟

سامي : هي قسم يا عمي ، إلا فاكر التمثال الأخضر بتاعها ؟
هو لسه عندك ؟

كاظم : أيوه ماله ؟ دانا اشتريته منها .

سامي : مفهوم بس أصل الدكتور مياال انه يشوفه ويوريه
لها يمكن له فكرة .

كاظم : آه .

سامي : مش ممكن تسلفه لي ؟

كاظم : سلف لا ، إنما ممكن تشتريه

سامي : كده ؟ عاوز فيه كام ؟

كاظم : ألفين جنيه !

سامي : يا سلام اهي الحالة مش ولا بد والا إيه يا عمي ؟

كاظم : لنفسه - ماهي الوزه الذهبية راحت .

سامي : نعم ؟

كاظم : بأقول يا بني من يوم وفاه والدتك - الله يرحمها -

وانا تعبان وحزين وعاوز أسلي همومي بأى شكل .
وانت عارف تكاليف المعيشة دلوقت ؟ .

سامى : ومتقولشى ليه يا عمى ؟ هو أنا مش ابنك ؟ اتفضل
الشيك أهوه . آجى إيمتى آخذ التمثال ؟ .

كاظم : وهو يضع الشيك بعناية فى حافظة نقوده - ابقى فوت
الصبح بس مش بدرى قوى . تصبح على خير .

يخرج كاظم ويظل سامى واقفا يراقبه وهو يتنهد .

سامى : - لنفسه - بلاوى اعاوز يقاسمنى فى ميراثى الشرعى
يسمع رنين التليفون فيمسك بالساعة .

ألو . ألو . مستشفى الأمراض العصبية ؟ أيوه أنا
بتقول إيه ؟ هربت ؟ ماجدة هربت ؟ إزاي ؟ تكون

داستها عربية ؟ تكون رمت نفسها فى البحر . . آه

مش سامع . طيب طيب يادكتور أنا هادى . اتفضل

اتكلم . ثارت لما ذكرتها بالتمثال فترجح لإنها راحت

عند صاحبه ؟ آه حاضر ، حاضر . طبعاً أروح دلوقت

حالا . يرمى الساعة ويهرول إلى الشارع .

الفصل الرابع

بيت كاظم

وقد غابت الشمس وبدأ الظلام ينتشر

سامى : — يطرق الباب بشدة : —

افتح يا كاظم ! افتح بأقولك ! .

كاظم : يفتح الباب جزئياً فيرى سامى : — .

كاظم : الله ! سامى ؟ إيه اللي جابك دلوقت ؟ إحنا مش قلنا
تفوت الصبح ؟ .

سامى : — يدفع الباب فيفتح — ما جده هنا ؟ .

كاظم : بتهكم — وإيه اللي رح يجيبها هنا ؟ هى مش فى
المستشفى .

سامى : هربت من المستشفى ، والدكتور قال لي يمكن جت عندك .

كاظم : واشمعي عندي ؟

سامي : لأنك صاحب التمثال . بمجرد ما ذكره الدكتور
ثارت واتكلمت لأول مرة ثم هربت .

كاظم : يغير سياسته إلى التلطف - روح يا بني روح على بيتك
دي واحدة طول عمرها بجنونة . مفيدش فائدة منها .
عوضك على الله .

سامي : اخرس ! بجنونة يعني إيه ؟ واثت تعرفها طول عمرها ؟
(يمسك بتلابيبه)

انطق ! تعرفها منين ؟

كاظم : ما اعرفهاش . بس سييني .

سامي : - يظل بمسكابه - لا تعرفها ! أنت الرجل العجوز
اللي كان تحت ستار العطف والشيخوخة بيوديها
المعارض ثم السيدنا ، أنت يا وغد اللي جنيت على بنت
ساذجة بريئة . وأفقدتها صوابها .
يدفعه عنه بقوة .

كأظم . وقد تخلص من قبضة سامي .
وليه يعني لما خرجت معها مرة والا اثنين؟ مش حكاية .
محدث بيغضب حد الأيام دي .

سامي : شور ويعود إلى الرجل ويشبعه لظما .

يا و غدا يادني ، تستدر عطف فتاة حساسة ، وتحميها
على الإشفاق عليك ، ثم تهددها بالإساءة إلى سمعتها
وتبتز منها المال كلها شئت ، ثم تجرؤ على مواجعتي يا كاب !
وأخيرا يسقط الرجل على الأرض ويخور كالشور ،
ويمسك سامي بالمصباح ليجهز عليه . فتدخل ماجدة
ويراها سامي ، فيسزل المصباح ، ويجري إليها ، وقد
سقط عنه الغضب ، ويقول بصوت ملؤه الحنان :
ماجدة . ماجدة .

ماجدة : تتلفت يمينه ويسره .

فين المثال ؟ اكسروه . ده كذاب فين الجال ؟ وفين
المرح ؟

مفيش ! مفيش ! مفيش غير الحزن والسفالة وانتهاك
الحرمان ، والتهديد وإبراز الأموال والضغط على
الروح .

فين الحيوان اللي ضيع حياتي وزوجيتي وسعادتي ؟
فينه ؟ .

سامي : — يقترب منها بلطف — ماجدة أنا سامي . فاكراني ؟
ماجدة : — تنظر إليه مليا — أيوه انت سامي . . . كنت
زوجي وكنت سعيدة .

سامي : — وقد ظهر عليه التأثير — ماجدة : الراجل اللي
بتدوري عليه أخذ جزاءه وانتهى خلاص .
ماجدة : بعد إيه ؟ بعد ماراح كل معنى للحياة ؟ .

سامي : لا يا ماجدة . مفيش حاجة راحت . شوفي التمثال ؟
— يشير الى التمثال — أهوه . مازال يمثل المرح ،
والشباب ، والضحك ، وأنا سامي بأورية لك والعجوز
اللاص انتهى خلاص .

ماجدة : وفين حيي ؟ وفين زوجيتي ؟ وفين ده كله ؟

راح اراح ا .

تبكى .

سامى : اسمعى ياماجدة . أنا سامى زوجك عرفت الموضوع
كله وعارف إنك بريئة .

كان فى راحل عجوز فى حياتك حاول اغراءك فلم
يفلح ، فأخذ يهددك بافشاء سرك لزوجك ويبتر منك
المال ثمننا لسكوته وأنت محتارة مش عارفه تتصرف فى
إزاي ، وخايقة على احترام زوجك وحبه . متخافيش
أبدا أنامش زعلان منك . وده ميجصلش غير للبنت
الشريفة الساذجة لأنها لم تتعود الخديعة أو اللؤم .

انتهى العهد ده خلاص ، وعرفت كل شىء ، وأنا

باحبك واحترمك ياماجدة انت مش بتجيبينى ؟

ماجدة : باحبك أوى ياسامى .

سامى : انت تعببت يا حبيبتي إنسى الماضى كله ، ومع بعض
نبدأ حياة جديدة من دلوقت .

ماجدده : — تلتهد — أنا تعبانه .

يقودها برق إلى الكعبة

سامي : نامي شوية ياماجده .

ماجدده متروحي إن نمت ياسامي ؟

سامي : لا ياروحي . أنا سهران عليك



زوجہ الفنان

سمعت حنان الساعة تدق الحادية عشرة ، ثم سمعت
تأوهات السرير في الغرفة المجاورة . وتشاؤب زوجها ، فهرعت
إلى المطبخ تجهز له الشاي وقبضت على يد الإناء بقوة وكأنيها
تستعد من صلابته الجلد والكبرياء . لقد عاد زوجها قبيل
الفجر وسط سحابة من عطر التريبتينا التي ينظف بها
أصابعه من الألوان ، وعند ما نهضت من فراشها مبسكرة
كمعادتها ، نظرت إلى وجهه النائم ، ذلك الوجه الذي أحبه
والذي توسمت فيه شخصاً غريباً لمدة ثلاثة أسابيع طوال !
نعم ثلاثة أسابيع كاملة كانت فيها نظرت به بعيدة حاملة ، وانكاشته
في نفسه كلياً وقلبها في صراع مر .

وسمعت قدميه على السلم المؤدي إلى الاستوديو فخبست
أنفاسها ، وانتظرت .

سمعت يناديها : « حنان أين أنت ؟ »

قالت بفرح - « اننى آتية يا عماد » .

ونسيت إعراضه عنها ، وصراعا مع كبرياتها ، ونسيت كل شيء فقد انتهت فترة الجفاء وعاد اليها الزوج والضحك والانسجام الكامل الحبيب . ووقفت بباب الاستديو تتأمل كتفيه العريضين وهو يحاول رفع لوحة أكبر بكثير من سابقتها ، ثم يديرها نحو الضوء ليقع عليها قويا قهارا ثم التفت اليها وقال : -

« انظرى يا حنان : هل رأيت مثل هذه القوة ومثل هذا الجمال ؟ »

فنظرت وهالها ما رأت . وشعرت كما كانت تشعر دائما كلما رأت لوحاته يأس يغمرها ولو خيرت لقالت بأعلى صوتها : -

« انها قبيحة ! إنها مزجة صارخة . لافن فيها ولا جمال ، ولكنها أجابت كما اعتادت أن تجيب فى مثل هذه الأحوال :

« إنها حسنة يا عماد » .

فوضع يديه على كتفيها وقبيل طرف أنفها ثم نظر
في وجهها وفي عينيها ضوء الحب الدافئ الجميل ، حبه لها
وقال : —

« أهلا حنان ! أهلا زوجتي ! »

قالت « أهلا بعماد الزركشي . أهلا بزوجي ! »

قال : ألم أعدك بزهرة هذه المرة ؟ وتبادرت إلى ذهرك —
بلا شك — وردة ناعسة فيها حياء العذارى ولها
شفافية البلور ، وليس كما ترين زهرة غليظة
جائعة جشعة تنمو في غابة من الضوء القوي بدلا
من جمال التكوين . لقد أردت زهرة جميلة يا حنان
أليس كذلك ؟

ونظر في عينيها ينتظر جوابها فاحمر وجهها خجلا لأنه
قرأ أفكارها وقالت .
« كلا يا عماد . »

فضحك ضحكته الصريحة العالية التي أحبت من أجلها ثم

قال

« لقد انتهيت من الرسم والعزلة التامة : اكسري ذراعي
إن أنا حاولت إمساك الفرجون ، فأنا رجل جائع . أريد
أن أكل وأن أسبح وأن أمشي أميالا طويلة وأن أغني . أريد
أن أحبك يا حنان . »

ثم قبلها برقة أولا ثم عاد فقبلها علي فمها بخشونة آلمت
شفيتها .

وقامت تجهز له طعام الافطار وكانت عيناه تتبعانها
بشغف شديد وعادت اليه فقال : —

« أيتها المرأة الصبور ! أين كنت خلال الأسابيع
الثلاثة الماضية ؟ »

قالت : « كنت هنا » .

قال : — في انتظار عودتي من رحلته بعيدة في عالم آخر . كلما
نظرت اليك يا حنان قلت راحت هذه الأيام سيدي ،
وكلما نظرت إلى اللوحة قلت لا : بل كسيتها .
ولم تكن سعيدة الآن فميناك تضيئان كالمصابيح

اضهنتي على عماد المسكين الذي يدور حول نفسه
كنحلة الأطفال بغير هدف في رحلة لانتهائية .

قالت : — في كبرياء سعيد — لم أظن ذلك مطلقاً !
فأخذها على ركبتيه ونظر ملياً في وجهها المشرق

ثم قال : —

« حنان : أنت المرأة لي وأنا رجلك . إني أشعر
بالهدف والحب الذين تشعين حولي فلولاك لما كان
لي كيان » .

ونظرت هي في عيونه القويين تحت حاجبين كشيئين
وشمرت تحت تأثير شخصيته الجبارة أنها مخلوقة ناعمة
ضعيفة وقالت : — كالطفل الذي أعطى ما يشتهي : —

وإني أحبك يا عماد . .

قال : — وأنا الآخر أستطيع أن أقول إني أحبك
يا حنان ولكني لا أريد أن أقولها بهذه الطريقة . أريد أن
أتعلم وأن أتعلم كثيراً وأن أتقدم في المعرفة وحينئذ

عندما أشعر أن عيني ويدي تطيعان عقلي - سوف أضع
حصى على لوحة وسوف أصوره حياً قوياً براقاً قاهراً لدرجة
أنك كلما نظرت إليه لم تتمالكى نفسك من الإعجاب به ،
فقلت بصوت متهدج أضعفته العاطفة الجياشة التي

اجتاحتها .

«عماد»

قال - متصنعاً الغضب - اسرعى بالشاى يا امرأة . ألا
تدري أن الرجال الجائعين يهتمون زوجاتهم ؟
فطارت إلى مطبخها ، وعادت إليه بالشاى والطعام
وجلست قبالة تنظر إليه .

كان كبيراً أكبر من الحياة كلها ، وكانت حيويته
القوية الدافقة أكثر من حيوية أى رجل آخر عرفته .
فالرجال فى أسرتهامثلاً محافظون لأقصى درجة ، شديدو
التمسك بالعقائد القديمة البالية ، حياتهم ملسقة مضغوطة
ضيقة ميتة أما هذا العملاق فقد بهر بها بصوته الجمهورى .

ووضعت يدها على صدرها ، وشعره المبعثر على جبينه ،
وعضلاته المفتولة القوية ، فأحبته لهذا العباد .

ونخرجت إلى الغرفة المجاورة ثم عادت بالرسالة في يدها
فنظر إليها بسرعة ثم قال قلقا عليها

ماذا أخافك ؟

قالت :- لا شيء . إنها مجرد رسالة من صديقة أقرأها .
وتناول منها الرسالة ونظر أولا إلى الإمضاء ثم قال :-
ما جده عرفان . ما جده عرفان . أين سمعت هذا الاسم ؟
لا تقولي . آه تذكرت أنها الناقدة الفنية الذائعة الصيت وهي
من النساء القلائل اللائي يفهمن ما يقطن ويحدثن القول .
قالت :- كنا معا في المدرسة

نظر إليها متفريسا ثم ، ابتسم ابتسامة عريضة ، ثم ضم شففيه
بجأة وأخرج طرف لسانه وأغلق عينيه جزئيا فبدأ كالبرومة
ولسكنه كان يقصد هذه الحركة تقليد امرأة في مخيلته تقول
الثناء بدل السين . وبدأ يحرك أصابعه كمن يلعب الورق

وهو يقول : -

أظن أن هذا دورى يا عزيزتى . هل سمعت آخر الأنباء ؟
لقد تزوجت حنان من فنان معدم اسمه عماد ، ولولم يكن
معهما لما تزوجها فهي تكبره بعشرة سنوات على الأقل
تثورت الموقف يا ثيقاتى : شاب فنان ثفر اليدين ،
لا يكتسب شيئا من فنه يجد أمامه ثيدة غنية فى سن أمه
شبهة الانقياد مثل حنان تضمن له رغد العيش مادام حيا .
فهل من المعقول أن يتركها تنعم بما لها بينما يتضور هوجوعا
طبعيا لا 1 والنتيجة ؟ لعب بعقلها وتزوجها وهى الآن اشقى
مخلوقه فى الوجود . مشكينة حنان 1 لقد أرثلت إليها
صديقتها ماجده عرفان عليها تعيدها إلى ثوابها وتقنعها بفشل
مثل هذا الزواج ،

ضحكت حنان حتى سالت دموعها ، ورجته أن يكف
وإلا أغشى عليها فتوقف هنيهة ، وسار نحو الباب ثم عاد
ورده على خصره يقاد مشية سيدة معترزة بنفسها ووقف
أمام حنان وقال :

« أنا ماجده . ماجده عرفان الناقدة الفنية لقد سمعت
الكثير عن عملك يا عماد ويسعدني أن أرى بعض لوحاتك »
فعاودت حنان الضحك وقالت : كلا ! كلا فماجدة
ليست بهذا الوصف مطلقا . إنها شابة طويلة نحيفة ذات
وجه عربي جميل تزينه عيناان رماديتان شديدتا الملاحظة
وتتماز بالإحساس الفني المرفف والأمانة المطلقة .
قال : ستحضر في السادس من الشهر فتي يكون ذلك ؟

قالت : اليوم

فصرخ كلا ! كنت أريد اليوم كله لنا وحدنا وعلى كل
تعالى نسير في الطرقات نعلن للبلأ حبنا وسهادتنا .

وخرج ليشتري علبة سجائر وما أن ابتعد عنها حتى
أوحشها غيابها وشعرت - وقلبها يكاد ينفطر - بفخره
بانتاجه وثقته بجودته .

ولم تكن غافلة عن سبب مجيء صديقتها فمن الجائز جدا
بل من المحتمل أن يكون عماد بحساسيته الطبيعية قد
تكهن الحقيقة المرة ، فكثيرا ما تجتمع الصديقات حول مائدة

اللعب يلعب الورق ويلعب النار ويهد من بيوتها لو تركت
وشأنها لا يجتازت العواصف ولو صلت إلى الميناء بسلام
نعم من المحتمل بل من المؤكد أن تكون إحداهن قد
شكت لما جده أمر حنان التي تزوجت من فنان يصغرهما
سنا - بسنتين على وجه التحديد - وأوعزت إليها بزيارتها
ومحاولة هدم هذا الزواج !

ومن أدرا كن أيتها المفتونات الجاهلات ماهو الحب ؟
إن حبها لعماد هو أجمل ما عرفت في الحياة لقد ملأ حبه
فراغ حياتها فأصبحت غنية مشرقة دافقة وكانت بالأمس
ضحلة راكدة !

وهل تستطيع قوه على الأرض فصم عروة ربطت
في السماء ؟ لن تنجح ماجدة في إقناعها بالعدول عن حبها
لعماد أما تأثير نقدها على فنه فهو ضوع آخر .
إن ماجده لناقذة فذه ، ذات رأى سديد محترم ، وقد
يكون نقدها - وإن كان مرا - سببا في تحويل نشاطه المثالي
إلى طريق أقوى وأكثر نفعا له والمستقبليها معا .

ومع ذلك فقد كانت حنان تخشى مغبة هذه الزيارة وودت لو استطاعت التخلص منها ، ولكن ما جدده الخبيثة توقعت ذلك فوضعتها أمام الأمر الواقع .

وأتى عماد ونظر إليها بشغف ثم قال : « لم التقطيب أيتها العجوز ؟ » قالت بابتسامة : لأنك أطلت الغياب يا صبي »

وضحكت وضحك معها على دعاة تعوداها .

كلا ليست عجوزا بل صبية : وستدهش ماجدة حين ترى خصرها النحيل ووجهها المشرق وستجدها أصغر شكلا وأكثر حيوية مما كانت وقت وفاه زوجها الأول الذي كان يتطلب في المرأة الوقار . فكانت في مشيتها وملبسها وزينتها وقورة . أما الآن وقد وجدت قلبها بين أحضان عماد ألقت نفسها شابه جميلة طليقة وعادت إليها نضارة الشباب التي هي من حقها ، ومعه وبصحبه تستطيع أن تحتفظ بهذا الشباب وأن تحارب بشبابها قنوطه ويأسه إذا ما اضطر إلى تغيير نهج حياته واعتزال الفن الذي . . . لا يتقنه .

ولم يخرجها ولم يعلنها لئلا كما أراد عماد لأن سيارة
وقفت بالباب ونزلت منها ماجدة عرفان
جرت اليها حنان قائلة « أهلا ماجدة »
ووقفت ماجدة شاخصة إلى هذه الفتاة الجميلة الطليقة
وهي لا تكاد تصدق عينيها :
« هل أنت حقيقة حنان ؟ »

ولمحت عمادا فقالت « اذا كنت عمادا فبربك خبرني
كيف جعلت من حنان هذه الحورية : ذات السبعة عشر
ربيعاً ؟ »

قال : - ستة عشر ربيعاً من فضلك .

وضحكوا وزال التوتر الذى بدأ يهدد الجو ثم دخلت
الصديقتان إلى غرفة الجلوس بينما مضى هو يحضر بعض
الزجاجات والأكواب وكانت رنات الزجاج تعلن فرحه
بهذه الزيارة لقد اعترف بماجدة وقبلها صديقة .

قالت ماجدة لصديقتها : إن زوجك عملاق ذو نشاط
وحيوية كبيرين بخلاف ما كنت أنتظر

قالت حنان « هل ظننته يلبس طربوشاً بغير زر ؟ أم يعطر شاربيه بالمسك

قالت ماجدة فى شىء من الخجل : لم يصل خيالى إلى هذا الحد . ولكن شرفا ياحنان انى أحسدك على زوجك وأغبطك على رشاقتك وتحريك . لا بد وإنك سعيدة

قالت حنان فى لهجة دفاع لم تخف على صديقتها : -

« أسعد مما كنت أتوقع أن أكون فى حياتى »

قالت ماجدة : - سأقول هذا حيث يجب أن يسمع وأسبلت جفنها بعض الشىء ، ولو كانت غير ماجدة لفسرت حركتها بغمزة عين - وسوف تدب الحسرة فى قلوب الزميلات وسيحسدنك كما أحسدك أنا .

قالت حنان بلهفة : - « سوف يطلب اليك عماد رؤية لوحاته ولن أطالبك بالمداهنة أو مخالفة ضميرك ولكن إذا أمكن ..

وفى تلك اللحظة دخل عماد ومعه الكؤوس والزجاجات تترنح طربا على الصينيه وهو يقول : أترك الرجل ليشرب وحده ؟

فقلت ماجدة : لقد وصل زوجك .

قالت حنان : أرجوك أن تحضر حقيقة ماجدة من
سيارتها ، ومضى ينفذ أوامرها بينما حاولت هي مرة أخرى :
ماجدة أرجوك إذا أمكن . . .

فقلت ماجدة بسرعة مقاطعة : عديا عماد فلن أستطيع
البقاء معكم سوى بضع ساعات ، وإذا تفضلتم على بوجبة
الغذاء كان هذا أقصى ما أطمع فيه .

فقال عماد مداعبا : — يا لحسن حظك ياسيدتي ، فإن
الغرفة التي أعدتها لك صديقتك مليئة بالصراصير البرية
والجوية .

وذهبوا إلى الشرفة وشربوا في صمت ألى أن قال عماد : -

« ماجدة : انك لا تشبهين رجال المطافئ في شيء .

فقلت مبهوتة « رجال المطافئ »

قال « أقصد فرق الإنقاذ »

فضحكت ثم قالت - وقد بدأت تتأقلم لهذا الجو النقي

البسيط .

قالت : « فهمت قصدك . نعم أتيت لهذا الغرض فعلا
ولسكن كثيرا ما تذايع أخبار مكذوبة لا أساس لها من الصحة .
في هذه الحالة مثلا .

قال : هذا صحيح وعلى فكره كنت قد صممت على
ألا أريك لوحاتي أما الآن فأحب أن تريها :
قالت : وأنا أشكر لك تنازلك .

قال : ولكن على شرط ألا تبدئي حديثك عن فني
بهذه الجملة :

لقد اكتشفت مواهب جديدة غاية الروعة
قالت : وهل هي رائعة حقاً ؟ وهل هناك مواهب ؟
قال : عماد لزوجته وقد لاحظ امتقاع لونها « خففت عنك
يا حنان فلن تنطبق السماء على الأرض » . ثم التفت إلى
ماجدة مرة أخرى .

« إنني لم أحسن التعبير . لم أكن أريد إطلاعك على لوحاتي
قالت : والآن ؟

قال : « أكون سعيدا لو رأيتهما لأنى أقدر شخصيتك

فهل هذا سبب تافه ؟

قالت : لا أحسبه كذلك تماما . أنذهب الآن لمشاهدة

هذه المواهب الجديدة الرائعة ؟

فتدخلت حنان بسرعة « الا تأكلون أولا »

قال : ونضيع ضوء النهار ؟

قالت : ماجدة : إن زوجتك تريد أن تقول « لا تعرضوا

مواهبكم على ناقد جائع ولكن هيا بنا .

وتقدم عماد وتبعته ماجدة أما حنان فذهبت إلى

مطبخها تخلط دموعها بما في القدر ، وكان كل همها الهروب

من ماجدة وعينيها الفاحصتين ثم حكمها القاطع على فن عماد

وهنا - وكان شأنها في ذلك شأن كل امرأة - صممت على

الوقوف بجانب زوجها حائلا بينه وبين قسوة الناقدة !

فذهبت بشجاعة إلى الإستوديو وجلست حيث يمكنها

مراقبة وجه ماجدة التي جلست بالقرب من النافذة

تنتظر .

وضع عماد لوحة على الحامل فقالت ماجدة « غيرها »

ووضع أخرى ثم الثالثة ، ولم تكن حنان قد رأت هذه المجموعة من قبل فقد رسمها ولا شك قبل زواجهما ، ثم جاءت الأربعة اللوحات التي عرقتها حنان وكانت آخرها لوحة الزهرة التي أكملها بالأمس وانتهى العرض ووقفت ماجدة .

أشعلت ماجدة انمافة تبغ ببطء شديد ثم أخذت تقطع الغرفة جيئة وذهابا ثم توقفت فجأة وقالت في تردد ظاهر : -
لا أدري يا عماد . لا أدري والله . أن ريشتك قوية التعبير . كانت اللوحات الثلاثة الأولى تافهة من نوع السور ياليزم ، لا قيمة لها ، استعراضية ، مجرد رياضة عضلية ، قال : « وهذا هو السبب في اني أريتها لك . كنت استكشف . كنت أتحسس الطريق ولم أكن أعرف إلى أين . أما الآن فقد بدأت أرى طريقى واضحا أمامى . إنه لم يزل غير معبد ، ولكنه طريق الذى شقته بنفسى وأقصد أن أسير فيه حتى أصل إلى أصول المعرفة . »

قالت : « إنك تحاول طريقة جديدة طريفه لاسابقة لها في تاريخ الفن .

قال : « منذ خمس سنوات شعرت بحاجة شديدة إلى التحرر ، وحاولت أن أخطط نهجاً جديداً لنفسى ولكننى عجزت عن التنفيذ . أما الآن . . . » وسار نحو حنان ووضع ذراعه حولها ، وكأنه بهذه الحركة يفسر لماجدة بعض ما كان يريد أن يقول .

ونظرت إليه ماجدة ثم قالت : « أمهلى قليلاً فسوف أعود أنا أعلم أنتى سوف أعود اليك يا عماد . خذ هذه الزهرة مثلاً : إن آلاف الفنانين رسموا الزهرة على مر السنين حتى لقد نسى المرء أن الزهرة »

فقال مكملًا جملتها : أن الزهرة مخلوق بدائي . جميلة نعم . قطرة من الندى ولكنها كبيرة لدرجة أنها تستطيع أن تبلع رجلاً كاملاً إذا استلقى على الأرض ونظر إليها في مستوى الحشائش ونسى جمالها ورأى فقط مادتها وحيويتها .

قالت ماجدة - وقد زال عنها التردد كلية :-

سأعود يا عماد حتماً وإلى ذلك الحين لن نتكلم في الموضوع
ودهشت حنان لتغير الموقف وأحسست تجاوزاً قوياً
بين الناقدة والفنان وجلسوا إلى المائدة وشعرت بأنها
أكثر من الكلام ولكنها لم تعباً . ثم استأذنت ماجدة
من عماد وطلبت إلى صديقتها أن تصحبها إلى السيارة .

قالت حنان :- كيف أشكرك على ما بذلت من مجهود
مع عماد ! لقد فهمت ما كنت أود أن أقول ولو صرحت
له بأن لوحاته رديئة

قالت ماجدة :- ماذا تقولين ؟ وكيف تستطيعين
الحكم عليه ؟ إن كلمتي رديء وجيد لا تستعملان إلا إذا
اتبعت القوانين المرعية ، ولكن هذا رجل خرج على
القوانين كلها .

قالت زوجته :- إذا استطاع إقامة معرض ل لوحاته

هربما . . . » وشعرت بوخز الضمير لأنها قللت من شأن زوجها .

قالت ماجدة إنه ليس مستعداً لأن يقيم معرضاً الآن وهو يعلم ذلك . إن ما لديه من المادة يجعل منه فناناً ذا شهرة جديدة سريعة الزوال وهو لا يريد ذلك

قالت حنان : ولكننى ...

قالت ماجدة وقد نفذ صبرها : - انظرى إلى لوحاته يا حنان ، وانسى ما تظنين أنك تعرفين عن الفن وأصوله . إن عماداً يتعلم . إنه يقول بطريقته الخاصة إن هذه الحياة ضارية مجنونة جميلة رائعة ، وأن كل كائن - مهما كان صغيراً - يشترك في هذه الروعة وهذا الجنون ، إنها فلسفة الخاصة ولكنها فلسفة صادرة من رجل ناضج

فقالت حنان : - لم أكن أعلم أو أقدر .

فقبلتها ماجدة بعطف وقالت : بعد مائه سنة قد يدرس طلاب الفن حياة عماد الزركشى وقد لا يصل إلى أبعد مما وصل إليه الآن ولكن ، على كل حال ، أنا أحسدك

عليه من صميم قلبي . . .

فسألتها حنان في حياء : وهل تحضرين مرة ثانية ؟
قالت : بعد سنة ، وأعتقد أن سنة كافية لتحديد الموقف
وداعاً يا حنان وشكراً واهتمى بزوجك الموهوب
ومضت كالبرق الخاطف .

وقفت حنان على سلم منزلها تفكر . وكان أول شعورها
هو أن تجرى إلى عماد تقبله وتسأله المغفرة لأنها لم تؤمن به
ثم تطالبه بضمها إلى صدره وتجفيف دموع الندم . ثم عادت
فذكرت أن إيمانها بعبقريته أو عدمه لا دخل لهما ، فقد
استطاع — في ظل إعراضها الدفين الذي لم تبج به والذي
أدركه هو — أن يفكر وأن يلتج وأن يجيد التفكير والانتاج
فلا داعي إذن لأن تشير موضوعاً مات قبل أن
يرى النور .

وكل ما في الأمر هو أنه يجب أن تظل حياتهما على ماهي
عليه : فرح وضحك وقبلات وذراعان يطوقانها ، ثم انطواء

وعودة إلى مكانه السرى فى قلبه حيث يعمل غير متأثر
بعامل الوقت ووحدة مرة لها .

صممت على هذا وهى تعلم كل العلم أنه مهما حدث فلن
تقل مرارة وحدتها ولن تسهل عليها آلام الفارقة حين
ينشغل عنها .

ولكن لن يكون ألمها عبثاً ، وإن كان فقد لها
أحيانا هو دورها فى الحياة فلتلعبه إذن ولتجعل له جزءا من
كل من سعادتهما معاً

كلا ، ان تخير شيئاً من نهج حياتهما فإن هذا الفقد ثم
هذا التلاقى هما — فى الواقع — حقيقة الانسجام السكامل
بين الرجل والمرأة

ماتت لتحيا

جادت عليها الطبيعة بمسحة من الجمال ولكنها لم تفرط
وحبتها ذكاء كامنا عليه قناع أسدل ، فكانت في السابعة من
عمرها طفلة عادية أو قل أقل من العادية ، قصيرة القامة ،
شاحبة الوجه ، ناعسة العين دائمة الإطراق كمن يخشى
الاذى ، تخاف أباهما وترتعد فرائصها إذا أحست بنظرة
أمها ، فقالوا : « طفلة نفور »

وراحت على حداثة سنها تقرأ وتفكر تعتق مبدأ ثم
تطلقه ، وتلعب يفكرة ثم لاتلبث أن تتركها إلى غيرها ،
وظلت طول طفولتها وحيدة منعزلة .

وأتاها الشباب بمرحه وطيشه نخشيتته وخجلت منه ،
واحتدم الصراع بين العقل والعاطفة ، فزاد تقطيب الجبين
تعقيدا ، وبدأت للعالم حولها قلقه حيرى .

وسم الشباب حيرتها واعراضها ، وأخذ ينحدر رويدا
إلى ما بعد الشباب ، وكانت فتاتنا بالامس طالبة ، واليوم

مدرسة نجحت أيما نجاح في حياتها العلمية أما حياتها العملية الاجتماعية فظلت مقفلة لم ينبت فيها نرجس أو ريحان .

جلست يوما في مقصورتها بالمدرسة ، حيث تقيم ، تفكر في خالها وتستعرض حياتها : أراضية هي عن نفسها ، أم غير راضية ؟ محبوبة هي من تلميذاتها أم غير محبوبة ؟

لم تكن - وأيم الحق - محبوبة ولا مكروهة ، بل كانت بين أترابها وزميلاتها ومن عاشروها كمينه مجهولة غامضة يعترف بقوة شخصيتها ويعترف أحيانا بحميل أسدته ، وإذا تصادف أن جاء ذكرها يوما - والناس يذكرون الناس لداع أو لغير داع - هن السامعون أكتافهم كمن لا يفهم ولا يعبا ، وكم يكره العالم الغموض .

فهل فطنت لكل هذا ؟ أو تظنها لم تعبأ ؟ لا . فقد ساءها ألا تكون محبوبة معروفة يشار إليها بالبنان كانت ترضى لنفسها أن تكون موضع نقد ، أو مثار فضول .

كانت تقبل طائفة مختارة أن تكون موضع تسليّة
الزميلات .

كانت تعتبر أى وضع أحلى لنفسها من تجاهل العالم
بأسره لها وإعراضه عنها

وهكذا يتمنى المرء فى مرارة وحدته .

جلست تفكر فى ذلك ، ثم تركت لخيالها العنان ، فرأت
نفسها نجما يتألق فى أفق الجميلات ، يترامى إليها الحب ومنها
تصدر الحياة وحاتت منها التفاتة إلى مرآتها فحيتها فردت
الأخرى تحيتها فى غير أدب ، فأشاحت بوجهها عنها ، وهبطت
من عليائها إلى الأرض فجأة وتحطمت أحلامها
وآمالها .

وهرولت إلى الشارع لا تلوى على شىء ، وركبت أول
سيارة عامة صادفتها وليس لها من وجهة خاصة أو هدف .

وبعد فترة ، صعدت المركبة سيدة ومعها طفلة هى القلب
الكبير أو البراءة الصافية ، وارتكزت الطفلة على ساق فتاتنا

ذات الوجه المكفهر وارتعدت فرائص الأم خيفة على
طفلتها من زجر امرأة قاسية ، ولكن فتاتنا لم تزجر الطفلة
ولم تنهرها ، لأنها أحست بكبرياء الأمومة ولو إلى حين ،
لقد اختارتها الطفلة دون سواها من الركاب ومن منها —
معشر النساء — لا ترقى لالتفاتة من طفل ! والتصقت
الطفلة بصدر الفتاة وأصبحتا واحدا فأحست الفتاة بحرارة
جديده تدب في عروقها عرفتها لأول مرة ولم تخجل منها ،
وأنت إليها الأم وأخذت ابنتها تأهباً للنزول فجالت الطفلة
ببصرها في الموجودين وابتسمت ثم قالت « أشكركم ، لقد
تمتعت كثيراً ! » وهبطت واختفت في زحمة الطريق

ابتسم الحاضرون في شركة روحية وضحك البعض في
عطف وحنان وانفرجت أسارير فتاتنا واكتفت وارتوت
وعادت أدراجها إلى مقصورتها ، وفي طريقها أبتاعت
لنفسها باقة من الأزهار المتواضعة تحلى بها وحدتها ، فقد
شعرت بعاطفة جديدة لم تعرف لها أسما بقيت معها إلى
أن نامت .

وفي الصباح التالي خرجت إلى عملها كعادتها ، وفي المركبة جالت ببصرها في الموجودين فرأت ملامح وتعبيرات تجاعيد وطوابع لم تعرفها ولم ترها من قبل ، فاستحسنت هذه ونفرت من تلك وآثرت البعض وحاولت فهم البعض الآخر ، وخالجتها عواطف شتى أنهكت قواها ولكنها كانت مرتاحة مستبشرة ، فقد بدأت دراسة جديدة : دراستها للحياة وكانت متفائلة .

كانت تصرف من كل يوم ساعة في طريقها إلى العمل وكانت تذكره هذه الرحلة وتعمل لها ألف حساب أما وقد وجدت لنفسها مسلاة فلم تعد تعباً بالصعاب أو السباب بل جعلت تتفرس في الوجوه باحثة منقبة ، تنقد العينين وتختبر شكل الأنف ، وتدرس الفم وحركاته ، وقد يسترعى نظرها جبين شديد الانحدار إلى أعلى أو أذن لا تتناسب مع خط الرأس ، أو شعر ليفي شديد السواد على بشرة ناصعة ، فتذهب إلى المكتبات في وقت فراغها تدرس وتبحث وتعود إلى مقصورتها ثملة مبهجة ، تقارن ما رأت

بعيني رأسها بما وجدت في الكتب وتستشج .

أما خادمتها فقد هالها أكوام الكتب والمجلات ومناظر
الرأس في مختلف الأوضاع وشتى السحن ولكنها لم تجرؤ
على نقدها أو الادلاء برأيها لأنها كانت تخشى فتاتنا وتخشى
كلماتها اللاذعة وسخريتها القاسية وصمتها المؤلم كأنه السياط
في حديثه وكان مثلها مثل تلميذاتها اللاتي حرن في معاملتها
فابتعدن عنها . لم تنجح إحداهن يوما في تملقها أو عصيانها
أو محبتها فكتفين برميها بالقسوة تارة وبالعضمة تارة . ولم
يكره الصغار ما لا يفهمون ، ولم يخطيء التلميذ في فهم معلمه .
سأخه الله !

عادت فتاتنا ذات مساء إلى المدرسة حيث تقيم منهكة
ولكنها منتعشة ، وكانت قد قطعت شوطا بعيداً في دراسة
السمات بما تطوى ، وهب الخادم واقفا ، فنظرت إلى وجهه
الشاحب ، وأحسست بقلبها أنه جائع ، فأعطته بسخاء ، ولم يتعود
منها سوى الصمت والكبرياء فخملق فيها الرجل وكأنه يراها
لأول مرة ونسى أن يشكرها ، ولكنها ابتسمت في رفق مطمئنة ،

وسارت نحو غرفتها ونادت خادمتها ثم دخلت إلى غرفتها
لستريح .

ذعرت المرأة وظنت أن يوم الحشر قد حل فلم تستطع
يوماً - رغم طول خدمتها لفتاتنا - أن تتنبأ بما قد تتطلبه
منها هذه الفتاة الدائمة الصمت والعبوس . ولكنها امتثلت
ولما طلبت إليها فتاتنا أن تجلس إلى جوارها ، وأن تحدثها ،
وأن تشاركها طعاماً شهياً ، لم تتردد لحظة واحدة لأنها كانت
امرأة بسيطة ، ذات قلب كبير ، وميل قهار لأمومة حرمت
منها ، وأخذت تأكل بشراهة لم تشمئز منها الفتاة .

وشعرت الخادمة بأن عليها واجباً نحو مضيفتها ف راحت
تسرد لها الأخبار كما تعلمها وعرجت على حياة خادمنا البائس
المحروم وقصت عليها تاريخ حياته وكيف فقد أ كبر أولاده
ساقه وهو في العاشرة ، وكيف فقد ثانيهما البصر ، وفرحت
لما رأت الدموع تتجمع في عيني الفتاة فقد استجيب
دعواتها وتفاهم القلبان .

وعدت الفتاة بأن تسهم في إنقاذ الطفلين من بؤس
محقق ، وبرت بوعدهما في الصباح التالي طالبة إلى زملائها

المساعدة . وتكلمت ببلاغة أدهشتهم ، وهى التى لم تتعود
الثروة ، فأجابوها إلى طلبها فى ذهول وفضول كبيرين .

وهكذا وصلت إلى قلوب الخدم ، وأصبحت مثلهم
الأعلى للمرأة الفاضلة . وهكذا يختلف تقدير الناس !

لم تكن فتاتنا عن شىء من هذا غافلة ، ولم تترك هوايتها
الجديدة ، بل استمرت فى دراستها للوجوه ، أو قل القلوب ،
حتى أصبحت عالماً من الأعلام فى تفهم السحن : تضع الوجه
من حيث جلسه ، حيث يجب أن يكون . عرفت اليونانى
والانجلو ساكسون والصينى والأسىوى والجاوى . عرفت
المصرى القديم والعربى بل عرفت أكثر من ذلك : عرفت
أن هذا الأنف لرجل الأعمال ، وأن تلك اليد لفنان موهوب
وهاتين العينين النجلاتين تنمان عن شرف المختد ، وذلك الفهم
هو الهوة السحيقة .

عرفت أن تلك التجاعيد تنبئ عن تجارب قاسية ، وهذا
التقطيب لنفسية حائرة وذلك الوجه المتهدل قد فقد كل أمل .
وكأن تلك الوجوه مرآيا تعكس أشعتها على نفس

على نفس الفتاة فتولد فيها عواطف شتى ، هي مزيج من الألم ،
والفرح ، والإيمان بوجود الخالق .

وأمعنت فتاتنا في دراستها هذه ، وتعمقت ، وودت لو
رأت وجهاً جميلاً بمعنى الكلمة ، رجهاً اكتملت فيه كل الصفات
السامية والمثل العليا ، لم يأكله الألم ، ولا دنسته الخسة . وصار
هذا الوجه شغلها الشاغل ، وأحسّت بأنه لا بد موجود ، وأن
البحث عنه خلق بكل مجهود ، فضاعفت جهودها وأخذت
تؤم الأسواق والمجتمعات ومركبات الترام باحثة منقبة إلى
أن لمحته يوماً في موقف الترام ، وكأنه يتفرس في الموجودين
بحريتها . فهبت مسدورة وهبطت من المركبة ، ورأتها يمشى
بخطوات واسعة ميمما شطر منزل دخله فلم تتردد . ذهبت إلى
المنزل ، وطرقت الباب ففتح لها شيخ وقور وقال :

ماذا تريد يا ابنتي ؟

قالت : أريد مقابلة شخص ، ذي وجه جميل ، اني

هنا منذ هنيهة :

دهش الرجل وقال : لم يأت إلينا أحد فأنا وشقيقتي العجوز نعيش هنا بمفردنا وليس لنا صديق أو شريك . ولكن إن شئت تفضلي ، فالطعام مهيا ، وهما شقيقتي تنادينني ومن معي مرحبة .

فاعتذرت في أدب وعادت أدراجها ولم يؤلمها الفشل وفي غرفتها أغضضت عينيها ورأت ذلك الوجه مرة أخرى وسعدت نومت نومها دئا .

ورأته مرة ثالثة في حديقة عامة ، وقد اجتمع حولها أطفال يلعبون ، وجلست هي ترمقهم بعطف وحنان ، وتصغى لعجوز تشكو مرارة العيش وظلم الناس . رأته وكان وجهه ضاحكا ، مشرقا بنور عجيب ، وودت لو تخاطبت مع ذلك الشخص ، لم تدر عن ماذا ؟ أو كيف تبدأ

الحديث ؟ ولكن دافعا ، سحريا في قوته ، جعلها تحاول الاقتراب منه ، وكان يسير رويدا أولا ، ثم أسرع الخطى

فسارت خلفه عالمة بأنه يستطيع أن يفتح لها أبوابا ، بعيدة المدى فيها لروحها خضرة وماء ، وما لبث أن أختفى في ركن قدر ضيق أهل بالفقراء فدخلته وقصدت منزلا ظنته فيه وقرعت الباب ففتح لتوه .

ورأت قاعة شبه مظلمة توسطت أرضها العمارية امرأة ترضع طفلها ، وحوها خمسة يلهون ، وعلى وجهها سيماء القناعة والرضا .

ورفعت المرأة إليها عينين صاحكتين متسائلتين ، ولم يكن في ذلك الوجه تقطيب أو مرارة ، بل جمال يحاكي جمال الوجه الذي كانت تراه فتاتنا وتحلم به ليل نهار .

وهالها ذلك الجمال ، وأنتقل إليها ، وغمرها ، واقتنعت بأن رسالتها كباحثة عن الوجه الجميل ، قد انتهت فهزت رأسها تحي صاحبة الدار ولم تتكلم احتراماً لقدسية الموقف وهمت بالخروج فإذا بأحد الأطفال يمسك بطرف

جوابها ، ويقول : تعالى العبي معنا فأنت جميلة »

فدفعته عنها بلطف ، وعند طرف الباب ، تركت
كيس نقودها ، وعادت إلى مدرستها .

عادت وسط هالة من الجمال وقد صفت النفس ، وسمت
الروح ، وحيث الموجددين وابتسمت لدعابة قالتها زميلة
فقلت أخرى ماذا حدث ؟ هل هبطت عليك ثروة
طائلة ؟

قالت فأتنا - كلا ولكنني متفائلة .

وضحكوا فضحكوا معهم ، وكانت لضحكيتها عذوبة الماء
الصافي .

ثم اقبلت عليها تلميذاتها ، شغوفات مستفسرات ، فشرحت
لهن ما أردن معرفته ومن ثم سارت رويدانحو مقصودتها
وفي غرفتهم ، كان الخدم يتجادلون - كعادتهم - في
شئونهم أو شئون الغير ، وينقدون رؤساءهم في صراحة

مُخْجَلَةٌ . وَحَانَتْ مِنْ أَحَدِهِمُ الْفَتَاتَةُ ، فَرَأَى فَتَاتَانَا تَسِيرُ عَلَى
مَهْلٍ فَقَالَ .

وَمَا رَأَيْكُمْ فِي فَتَاتِنَا ؟

قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : لَقَدْ تَغَيَّرَتْ .

قَالَ آخَرُ : لَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَقًّا . تَرَى هَلْ رَأَتْ

وَجْهَهُ اللَّهُ ؟

على رأى أمى ..

القصيدة الخالده بين قلبين وأربع أيد

شقة نمرة ١ شارع البحر مصر

حاضرة الشيطان فى صورة إنسان

أنا فتاة ريفية حذرتها أمها من التخطاطب مع الرجال الغرباء
ولكنها لم تذكر موضوع كتابة الرسائل اليهم . ولو فعلت ،
لكتبت إليك على الرغم من تحذيرها ، فأنا أكتب إليك
بقطرات من دمي فى درجة الغليان .

وصلت إلى شقتى ليلة أمس فى تمام الساعة الثانية
والدقيقة الواحدة والثلاثين صباحاً ، وبدأت نومي حوالى
الساعة الثالثة والرابع . وفى منتصف الساعة السابعة ، استيقظت
على صوت الراديو صادرا من شقتك . والآن ، والساعة
السادسة والخمسة والخمسون . مازالت الأوكسترا تلعب
بجنون .

لقد قرعت على الحائط المشترك بيننا حتى أحسست يدي
تدميان ، وركلت بابك بقدمي حتى مللت ، فلم أتميز حركة
أو جوابا .

وليس لي إزاء ذلك ، سوى أن أستنتج أنك كنت مخمورا
ليلة أمس ، حين أطلقت صوت المدياع ، ولم تنبئه بطبيعة الحال
إلى انتهاء الإذاعة المسائية ، ولم تفق من غيبوبتك حين بدأت
إذاعة هذا الصباح ، بهذا النغم المزعج القاسي .

وبينما أنا لا أحاول التدخل في الشخصيات ، أرجو أن
ألفت نظر محضرتك إلى الشرط الموجود بعقد إيجار هذه
الشقق ، والذي ينص على حظر تربية الدواجن ، والاستماع
للراديو فيما بين منتصف الليل والثامنة صباحا .
وتفضل بقبول فائق الاحترام .

شريفة عبد القوي

شقة نمرة ٢ شارع البحر - مصر

سيدتي المحترمة

أهرع إليك على ركبتي لأقدم أسفي على ما بدر مني ، ولم

يكن متعمدا والله شاهدي !

وعلى الرغم من أننى لا أكثر قليلا أو كثيرا بهجومك
الغنيف على أخلاقى الشخصية ، إلا أننى أصارحك بأننى
تركت الراديو ولكن لأسباب غير التى ذكرتها فى رسالتك .
وحقيقة الأمر أننى اشتغلت متواصلا لمدة ستين ساعة بلا
انقطاع ، ثم أطلقت صوت المذياع لأسمع الأخبار ولأطمئن
أن العالم مازال محتفظاً بكيانه ، على الرغم من انشغالى عنه
طوال هذه المدة .

فكان نومي العميق إذن ، نتيجة عمل شريف متواصل
لأن نتيجة سهرة حمراء بين الكأس والطاس كما زعمت ياسيدتى
سأحك الله .

وبرغم أننى لا أود التدخل فى شئونك الخاصة ، أحب
أن أسألك سؤالا واحدا . هل اعتدت حضرك الرجوع
الى منزلك فى تمام الساعة الثانية والدقيقة الواحدة والثلاثين
صباحا (ألم تقولى صباحا فى رسالتك ؟) وهل هذا يتناسب

مع الفتاة الريفية الساذجة ؟ وهل تعلم أمك بذلك ؟ ،،،

سأخ

عزيزى الأستاذ

فى نفس الوقت الذى أقبل فيه اعتذارك . أبدى
عظيم أسفنى على اندفاعى الشديد حين كتبت اليك
وعلى رأى أمى - اذا كنت فى ثورة غضب ، عد من واحد
إلى عشرة (أو بعد عشرة) قبل أن تتكلم وهذا يشمل
كتابة الرسائل طبعاً .

وبهذه المناسبة أحب أن أذكر لحضرتك أنى عندما
عدت ليلة أمس ، كنت عائدة من عملى فأنا أشغل وظيفة
سكرتيرة ممدوح بك مجاهد مدير شركة أفلام . . . وهو
رجل فنان لا يملئ رسائله الا متى طاب له المزاج .
فلمست ، اذن ، الشخص الوحيد المجهد فى هذه
الحياة . ،،،

شريفة

سيدتى :

طالبى حضرة المدير بإملاء رسائله فى مواعيد محددة . فى
موضوع المزاج ، كما فى أى موضوع آخر ، أعطى الرجل
السكران يطمع فى الذراع : وأنا واثق من أن أمك قالت
لك ذلك .

المخلص : سامح

عزيزى الأستاذ سامح .

يؤسفنى أن أعاد الشكوى وكنت أومل أن رسالتك
الآخيرة لاشك فى أنك قلت ما قلت بحسن نية - سوف تنهى
مكاتباتنا ولكننى فريسة الحوادث .

ما كدت أصل بعد ظهر أمس إلى منزلى فى الساعة الثالثة
والدقيقة السابعة عشرة - لم يطب مزاج المدير أمس للإملاء -
حتى راعتنى الأصوات العجيبة المنكرة الصادرة من شقتك
والتي كانت على رأى أمى تمثل حماما شعبيا بلا ماء فلم تقنع
بلعب البيانو وقدمك على الدواسة باستمرار بل أضفت التقليد
الصوتى لمعظم الآلات الموسيقية ، ثم القرع على ما اعتقد

قرعا شديدا على غطاء البيانو ونسيت نفسك إلى حد أن
قرعت على الأرض برجليك أو أرجلك .

باسم الإنسانية أناشدك -- رحمة بجارنا وصاحب المنزل
الذى يسكن تحت طابقنا إذا لم يكن رحمة بأعصابي أنا -- هل
هذا ضرورى ؟ وهل هذا معقول ؟ وهل يقره أحد ؟
شريفه

عزيزتى الأنسة شريفه :

أشكر لك رقة شعورك نحو جارنا صاحب الدار وهو
رجل من هواة الفن وعشاقه ولذا فهو يعطف على طريقي في
العمل ويشجعني بصمته ، هل دار بخلدك أنتى مؤلف موسيقى
وأنتى أوضحت كل هذا لصاحب المنزل حين استأجرت
شقتى ؟ وبهذه المناسبة هل تعلمين أن صاحب المنزل متغيب
الآن فى جنوبى فرنسا ؟

صدقينى إذا قلت أنتى أقدم لحضرتك اعتذارا مخلصا عن
القلق الذى سببته لك وسأسيبه لك مستقبلا ولا أستطيع أن
أقدم عن نفسى دفاعا سوى أنه لا بد للرجل من أن يكسح

ليأكل ليعيش !

المخلص : سماح

عزيزى الأستاذ :

لقد أضعت ستة شهور وأنا أبحث عن مسكن لى ، والآن فقط علمت لماذا وجدت شقتى بهذه السهولة .
وأخيرا أنت يجب أن تأكل أما أنا — كما يظهر لى — فإما أن أقبل هذ الوضع أو أبحث عن منزل آخر .

شريفه

عزيزتى :

طرقت بابك بضع مرات محاولا التفاهم معك عن أوقات
تغيبك عن المنزل وعن المواعيد التى تتفق ومزاج المدير فربما
أستطعت أنا الآخر جعل مواعيد عملى تتفق ومزاجه ،
ولم أتنى على أستعداد لأن أحاول على الأقل .

سماح

عزيزى :

إن مزاج المدير ومواعيده لا يمكن بأى حال من

الأحوال فهمها أو التنبؤ بها . ولكنني مع ذلك أشكرك
على تفكيرك السامي هذا وعلى رأي أمي : المهم هو حسن
النية في الموضوع .

شريفه

آنستي العزيزة :

لقد طالما تحملت جلبة تأليف الموسيقى بصبر تشكرين
عليه والذي كثيرا ما سبب لك قلقا وانزعاجا . فهلا رغبت في
سماع بعض قطعي الموسيقية تعزف كاملة منقحة ؟
لقد حددت جماعة هواة الموسيقى الخسيس القادم لعزف
ثلاث قطع من تأليني : وهي : فانتازيا على الكلارينيت والايوبوا
والباسون ثم مجموعة من الأغاني (بدون كلمات إذ أنني أرى
الصوت الآدمي جذابا كآلة أوركسترا) ثم سمفوني على
وتر واحد .

أأمل أن يسمح لك وقتك بحضور هذه الحفلة .

المخلص : سامح

عزيزي :

أكتب اليك لأشكرك وجماعة هواة الموسيقى على الحفلة

الموسيقية التي دعوتوني إليها فقد كانت تعليمية أكثر
منها ممتعة .

لقد فضلت فانتازيا كما تسميها على أغانيك ولو أنها جميعا
لم تصل في رأيي إلى مرتبة السيمفوني على وتر واحد .
أكرر شكري ثم تحيتي .

المخالصة : شريفه

عزيزتي

إذا كنت ترين عملي تافها فلم لا تقولين ذلك بصراحة ؟
ثقي إنني لا أهتم مطلقا بما تقولين . ومتى كان الشعب يقدر
الموسيقار الموهوب أثناء حياته ؟ بل هناك أفراد وصل
إيهم الغناء إلى حد لا يستطيعون معه تقدير الموسيقار ميتا كان
أم حيا .

ويغلب على ظني أنك الشقراء ذات الثوب الرمادي التي
وقفت على مقربة من باب الخروج واختفت بمجرد
انتهاء العرض .

وينخيل إلى أن حركتك هذه كان المقصود بها الهروب

من إبداء. رأيك إذا طلب وفضلت كتابة كلمة بعد أن عدت
عشرة مرات عشرة خوفا من إيلا مى .

عزيزى سامح

هل كنت الرجل ذا الشعر الطويل الذى لعب الباسون أم
الفتى ذى الوجه القبيح الذى لعب الأوبوا ؟
يوسفنى ياسيدى أنك عالمت خروجى على النحو الذى
ذكرت وعلى رأى أمى - إذا لم تكن واثقا من نجاحك فلم
دعوت الناس لمشاهدة فشلك ؟

شريفة

عزيزتى

أنتك تعلمين حق العلم أن شهرى قصير وأن شكلى مقبول
جداً وأنتى كنت لعب الكلاريليت . هل دار بخلدك يوما
أنتك مصابة بعقدة آلام ؟

على كل حال لقد صممت على تأليف أغنية تتناسب مع
ذوقك الريفى البسيط وأأمل أن أتشرف بإهداءها اليك فى
ظرف عشرة أيام .

سامح

عزيزى

إذا خیرت بین أن أكون مصابة بعقدة الأم أو أن
أمضى حیاتی أتأمل خیالی فی الماء مثل رجل الأسطورة
اليونانية — لقد غاب اسمه عنی الآن — فأنا شخصیا لرب
أتردد فی الاختیار .

وعلاوة على ذلك صدقنى إذا قلت أنه ليس هناك فارق
فی نظرى — بین الأغنية المزمع تأليفها و بین السمفونى على
وتر واحد .

ملاحظة : هل هناك كلمات لأغنيته ؟ .

شريفه

عزيزتى

نعم عدة كلمات كتبت بدم القلب

سامح

عزيزى

هل أصابك حزن ؟ لم أسمع صوتا بفراقك منذ ثمان
وأربعين ساعة فهل أنت بخير ؟ تجدى مشغولة جدا

شريفه

عزيزتى

إن حمى التأليف صامتة أحيانا ، إننى أتمتع بصحة جيدة
ولكن ميلى للانتحار شديد للغاية .

سامح

عزيزى

هل تأكل طعاما مغذيا وهل تخرج للتريض فى الحدائق
الغناء ؟ وهل حاولت عملا يختلف عن عمالك العادى كترتيب
أندراجك مثلا ؟ على رأى أمى إذا صعب عليك القيام بعمل
تحبه فحاول أن تحب عملا آخر تتقنه .

ملاحظة : مرسل لك ست بيضات طازجة من
دجاج بلدتنا .

شريفه

عزيزتى

لقد أنهيت من تأليف الأغنية الآن . نامى الليلة فى هدوء
فغدا أستأنف عملى الجدى العنيف .
ملاحظة : أشكرك على البيضات الست .

سامح

عزيزى

شكراً جزيلاً على أغنيتك وإننى لفخورة بها فهى أول
أغنية كتبت لى خصيصاً . وإنى لى انتظار رأى أمى فيها .
شريفه

عزيزتى

لقد قرعت على بابك سبع عشرة مرة دون جدوى فبربك
أسرعى إلى بمجرد عودتك .

لقد وصلتني اليوم رسالة من ممدوح بك مدير شركتكم
يطلب منى مبدئياً بعض مقطوعات الموسيقى ويعتقد أننى
مستعد لأن أضع وقتى الثمين تحت تصرفه بأن أقوم بتأليف
بعض القطع لأفلامه ، فليذهب إلى الجحيم !

لقد أوقعتنى فى هذه الورطة وعليك إخراجى منها ، ولم
تتدخل النساء فى أعمال الرجال ؟ ..

ملحوظة : خمس بيضات معادة إليك وسوف تتبعها
السادسة عما قريب .
سامح

عزيزى

ممدوح بك فى طريقه إلى إخراج فيلم غنائى كبير وهو

في حاجة إلى مؤلف يقوم بوضع الأغاني الخفيفة التي
تتمشى وروح العصر .

وكنيت أظن أن مثل هذا العمل يروقك ولكن إذا لم
ترد أن تأكل فهذا أمر لا يهم أحدا ، وبهذه المناسبة أذكر
أن قالت أمي يوما أن الرجال صبية وأضف إلى قولها هذا
أنهم صبية مجردون عن الأدب والذوق السليم .
أذهب بنفسك للمدير وقل له ما شئت فلن أتدخل في
شئونك وأرجو ألا تكاتبني بعد اليوم .

شريفه

عزيزتي

لقد أمضيت أعز أيام شبابي وأنا أحاول إقناع الناس
بعبقريتي فأعرضوا عني ، ولما يئست من المحاولة أتوا هم إلى .
اغفري لي تسرعى وسوء أدبي إن أمكنك وأعتبري
اندفاعي نتيجة صدمة النجاح بعد الفشل .
سأتناول الغداء على مائدة المدير غداً وأرجوك
الحضور حتى ترشدينني كلها أخطأت .

سامح

عزيزتى شريفه

لم لا تحضرين ؟ لقد طالت غيبتك ، وعلى الرغم من أقذاح
القهوة المتعددة التى شربتها لأستطيع مقاومة النعاس بعد
الآن ، فقد كتبت أغنيتين للفيلم وأريد رأيك ، لقد كانت
المقابلة اليوم ناجحة فوق كل تصور وكان المدير ظريفا معقولا
بفضل وجودك وتوجيهك وقد أصبح معقولا ظريفا أنا
الآخر لو اخترت إرشادى وتدير شئونى فأنت مخلوقة
كرامة والمجال متسع فى عالم السينما لمؤلف موهوب مثل إذا
وقفت إلى جانبه .

أن السبب الحقيقى فى كتابتى إليك الآن هو حى لك
وشعورى الشديد بالحاجة إليك ، هل تقبلينى زوجا ؟ أخيرا
استطعت أن أقول ما فى نفسى .

ولكنك تعلمين كل شىء . ولا أخالك إلا عالمة بلتى هذه
قبل أن تختمر فى رأسى .

سامح

عزيزى :

أن المستقبل باهر والمجال متسع بلا شك أمامك . إنما هل يكون مستقبلك فى الأفلام أو على منصة الكونسرت ؟ لا أدرى . ولكننى أعلم شيئاً واحداً وهو أن مستقبلك ليس معى أنا . لقد أستقلت من عملى اليوم وذهبت إلى جهة نائية فلا تحاول الاتصال بى أو طلب عنوانى من المدير فلن يعطيه لك

شريفه

شريفه

بربك أوضحنى برجوع البريد وإلا طرت إليك فأنا أعرف مخبأك الأمين وهو عند أمك .

ملاحظة : عنوانك كان مكتوباً على صندوق البيض ؟

سامح

سامح :

لا تحاول الكتابة لى بعد هذا فلن أستطيع قبولك زوجاً

وكان يجب على - على رأى أمى - أن أصرح لك بكل شيء
منذ البداية ، لم أحتقر موسيقاك كما زعمت ، كلا ! وألف كلا !
ولكن حقيقة الأمر هى أننى أجهل كل شيء عن الموسيقى
ولا أكاد أفرق بين سمفونيا على وتر واحد والشييد القومى
وأرى أن زوجة المؤلف لا بد وأن تفهم عمله وتقدره . وداعا .
شريفه

شريفه - حاضرا غدا ومهى الشبكة - هل تفضلين
باريس على البحيرات الايطالية لقضاء شهر العسل - فى
انتظار موافقة أمك - مطلوب من زوجة الفنان احتمالها
لاتقدير عمله .

سامح

سامح - قبلنا - أهلا وسهلا .

أم شريفه

الرائحة الزكية

عادت من عملها في المتجر منهوكة القوى حائرة النفس
كسيفة البال فارتمت على مقعد في غرفتها تلتمس الراحة
وتستعيد النشاط ، وفي نظرة مفكرة إلى جوانب الحجرة ،
رأتها قد اتشحت بغلالة من العبوس ولبست ثوبا حزينا
وخيل إليها أن صدى نفسها البائسة قد رددته هذه الجوانب
وأن كسوف بالها قد طبع على الستائر مسحة البلى فارتسمت
على أهدابها ألوان من البؤس الصامت والشقاء المخيم .

لم هذا العبوس وهذا التجهيم ؟ ولم هذه الحياة الشاقة
الشائكة ؟ ولم الجد والعمل دون غاية أو أمل ؟ أنها لتنفركل
النفرة من حياة المتجر ومقابلة رواده الذين يأتون - رجالا
كانوا أم نساء - يطلبون الأناقة والجمال المزيف ، والتزين
المستعار ، ويطالبونها بإفناء جمالها الذي وهبه الله لها مقابل

بضع دريهمات تتناولها في أول كل شهر .

كلا اكلا ان تعود إلى هذا السجن الروحي مرة أخرى
ولن تحي تلك الحياة التي فقدت كل مائتها وتسلسل من
جوانبها كل بهجة وجمال .

إن صوتا يناديها في رقة وحنان ويصب في أذنيها أعذب
لحن عرفته المرأة ، ويفتح أمامها باب الخروج من هذه الحيرة
المحطمة ، ويصور لها الحياة أكثر إشراقا وألذ مذاقا . إنها
لتنصت إلى ذلك الهتاف الجميل يردد اسمها ويغرد اللحن
الذي لم تطرب قط إلى لحن سواه .

سلوى : تعالى يا حبيبتي بنى العش الذي طالما تمنياه نرفع
قواعده على عمد من حبنا الطاهر وطبيعتنا الوادعة ، ولنتخذ
له مكانا هادئا بعيدا عن المدينة وضوضائها والمتجر ومتاعبه
ولنجعله سدا منيعا بيننا وبين أهلك السكير وإخوتك الصغار
المتمردين ، ولترتح يداك الصغيرتان من مشاق العمل في
المنزل ، فلطالما تحملت أعباء قاسية في صمت وجلد .
تعالى أيتها الحبيبة المخلصة نرسم بيد الأمل أساس

المستقبل الباسم وننعم بقدسية الحب الطاهر في ظلال زوجية
هائلة ولتباركنا عناية الله .

تعالى إلى ياسلوى سريعا فإني منتظرك بعد ساعة على
ظهر الباخرة في الميناء .

ثم توقفت القيثارة وأنقطع فجأة هذا اللحن الحالم الجميل
وعبثا أرهفت السمع مرات ليعود فلم يعد .

وذهب اللحن وحلت محله - في ذهنها وفي مخيلتها -
صورة خطيبها الشاب صاحب الضحكة المطبوعة الصريحة
والعينين المشرقتين والملامح القوية . رأتها بعين الخيال يومئذ
إليها أن تعالى فالباخرة في الميناء وقد أوفى موعد الرحيل .
فقامت متباطئة ومدت يدها في رفق تداعب شعره ثم
استيقظت فوجدت يدها ممدودة في الفضاء فضحكت في نفسها
وأرتمت على مقعد آخر تبتسم لحلم حصيل أصبح
وشيك الوقوع .

وفي لمح البصر الخاطف نهضت ذات العيون النجل

تزين نفسها وتصلح شأنها ثم خرجت من المنزل خلسة تسترق
الخطى وتطوى الطريق يرودها الحلم الجميل ويحدوها الحب
الطاهر حتى وصلت إلى الميناء ، ووقفت على الشاطئ حيث
الأمواج تحاكيها والنسيم يباريها .

وجأة أحست بيد الفتى على كتفها ثم يأخذ بذراعها
ويقودها برفق نحو الباخرة وهو يقول .
أخيرا وصلت واستجبت النداء .

اندفع نحوها الفتى في لفة الشباب الضاحك الأمين المؤمن
بحبها ، وتأملها معبودته مليا ولد له الموقف وطابت له
النجوى فرفع بصره إلى السماء يطلب الصفح والمغفرة عن
فرط حبه لها ويسأل في خشوع أن يبارك الله هذا الهناء .
ولكن الأيام على طبيعتها الغادرة كثيرا — أبت أن
تستجاب دعواته وأصرت في عناد على عدم تحقيق رغبته
وقد أصبحت وشيكة التنفيذ .

نظر إلى الفتاة والابتسامة مازالت على شفثيه مرتسمة
وهاله ما رأى . أحس منها جفوة وأحست منه نفرا وانحلت

سريعاً أصرة هذا الاجتماع ، لقد نظرت إلى فتاها نظرة جديدة
وتمثلته رجلاً آخر وأصبحت تراه بغير العين التي رأتها أولاً
فكانت تراه ولا تراه ، رأت في وجهه وجه أبيها وعينيها
الساخرتين وجبينه المقطب وأحست بيديه المجدبتين تنبض
عروقهما البارزة ورأت في سيمائه الألم الصامت والقلب
الكسير .

تذكرت كيف كان يطعمها بيده وهي على سرير المرض ،
ويوم جعل نفسه لها مركباً ذلولاً تقطع على ظهرها الغرفة في
الذهاب والإياب ، ذكرت يوم قرأ لها بعض قصص الجان
وهي على ركبته جالسة ، ويوم خرج بها مع إخوتها وأمهها
للنزهة في إحدى الحدائق وكيف كان ينزل من نفسه فيلبس
برقع الأم لكي يضحكها وإخوتها الصغار ثم ذكرت أمها
وحنانها وضحكتها وفخرها الدائم بأولادها وكبرياءها في
فقرها وذكرت على الأخص ساعة خلاصها من هذا العالم
وكلمتها الخالدة « تركزتموني » التي كانت آخر أنفاسها في الحياة
كذلك ذكرت شقيقها الذي مات قبل أن يحيا وذكرت نظرة

شقيقتها إليها في توسل صامت وذ كرت أخيراً شعر أبيها
الناصع وودت لو طبعت قبلة حارة على جبينه المجعد .

ذ كرت كل هذا ولكن في غير مرارة، وشعرت بهمسات
خفيفة، وكلها لم تسمعها، ويد تقودها في رفق وهوادة
ولكنها لم تتحرك، ووجهت ناظرها إلى الأفق البعيد تتأمل
ما بين السماء والماء وتتابع الأمواج بالميناء وحركاتها الساحرة
وتدققها العجيب وعلى الرغم من شعورها بجذبة شديدة لذراعتها
ظلت مشردة الذهن كثيرة الحيرة تفكر في إخوتها الصغار
وأبيها الفظ وكيف تلقاه وتهديء من روعه واقتنعت أخيراً
بأن تتحمل منه بعض الصفعات راضية مختارة .

إن يداً قوية تحرك جسمها وتهزه هزاً عنيفاً . إنها يد
خطيبها الذي ما أن تبينته حتى فرت من بين يديه طالبة منه
النجاة لقد ابتسم أولاً لهذا المنظر ثم تجهم، واندفع نحوها
ثم أحجم . إن عينيها لتقدحان الشر وتلمعان بهريق جنوني
فيه الخطر كل الخطر فليفلت إلى مركبه أسيفاً مخزونا وليرض
من الغنيمة بالإياب .

صعد إلى الباخرة في سرعة عجيبة ثم نادى « تعالى أيتها
الحبيبة » .

ولكن هيهات أيها المسكين أن يستجاب لك ، وأن تعود
نحوك دورة الفلك . لقد حولت السماء مجرى حياتها فاعتنقت
فلسفة في الحب جديدة ، واختطت سيرة في حياة المحبين فريدة ،
أبرزها حنينها لأهلها وذويها ، وما مر بها آنفا من ذكريات
غنية وإن كانت مرة ، لقد كانت طفلة صغيرة ، فتاة غريرة ،
فأضحت الآن شابة موفورة الوعي ناضجة الفكر حنت إلى
أبيها وذكرى أمها فتلاشى الشباب الضاحك والتفكير
الساذج والعبث البري ، إنها لم تختتر هذا المذهب لنفسها ولم
يطلبه أبوها ولم تتوسل فيه أختها ولكن الحب هو الذى فتح
قلبها وحرك مشاعرها ، حبها للفتى هو الذى علمها كيف تشغل
قلبها فشغلته عنه بأبيها وملائته بأهلها .

نعم . لقد أخصب هذا الحب قلبها ، فأورق فيه وأثمر
دون أن تعلم أو يعلم الفتى أن حبه له هو الذى كبرها ونماها
وارتفع بها من فتاة ساذجة ضعيفة إلى امرأة مكتملة قوية

تفيض رقة وحنانا نحو الكبار والصغار ، نحو الجماد والحيوان
تهتز أوتار قلبها لكلمة عذبة ، وتفيض دموعها لمنظر بائس ،
وتود تقبيل النسيم إذا مس وجنتيها .

كانت مرهفة الحس من قبل ولكن حكمها الحقر والحياة
فما أن عرفها الحب حتى زاد من حساسيتها ومنحها القدرة على
أن تحب، وأن تجاهر بهذا الحب، وأن تفخر بالحب في كل مكان.
فأصبحت ترى الحياة بمنظار آخر وتحس أن واجبها المقدس
هو حب الجميع وخدمة الجميع . في كل حركاتها وسكناتها وفي
كل أفكارها وخيالاتها كان محركها الأول هو حبها الأول
لذلك الفتى المسكين لقد رفضت أن تستجيب نداءه ولكنها
لم تفضل عليه أهلها أو سواهم وقد منحها حبا خاصا خالصا
ففتح قلبها للحب عام جارف استطاعت بعبقريتها الفذة وبصيرتها
النافذة أن تقدمه منحة كريمة لكل من يتقبله .

لم تعد امرأة إذا . إنها ملاك تهب للحب وتجزل منه العطاء .
أصبح لها عالم تمنحه الحب وأصبح فتاها جزءاً من هذا العالم
الفسيح : فهي تحنو عليه وتعطيه من الحب الذي أعطاها . فإن

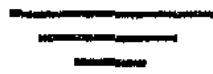
شاء وصل وإن شاء قطع ولكنها غنية في حبها قوية في قلبها،
فإن وفي وفية وإلا فكيفها أنها أحبت وتحب إلى المنتهى حباً
ليس في حاجة إلى زوج أو رفيق ولا مفتقراً إلى استغلال ذاتي
لا يثبت أن يصبح قيود منزل وأغلال أمومة بل حباً خالصاً
جَمِيلاً يشع حرارة ويتفجر طهراً .

وسمعت الباخرة يؤذن صغيرها بالرحيل فنظرت إلى
الآفاق مشرّبة تحاول الوداع ، ورأت رأسه الذهبي يتبينها
فرفعت يدها محببة وكان فيها سلام وكلام سوف ينساه بين
البحر والرفاق . أما هي فلن تنساه فقد منحها قلبه ودمه وأصبح
معها روحاً خالداً ورائحة زكية عابراً مقدساً وماذا يهم الجسد؟

تصنع

تمثيلية مكونة من أربعة فصول

أشخاصها : فيفي ، رستم ، جلال ، ليلى



فيفي فتاة جميلة ، ذات أدب جم ، وتربية استقلالية .
تعرفت بشاب وسيم يدعى رستم ، قبل سفره في مهمة حربية
إلى السودان . والآن ، وقد عاد إلى مصر ، ذهب ليجدد
صداقته بها وكل يكن للآخر عاطفة قوية . ولكنه ، بالرغم
من ذلك لم يتقدم لخطبتها . فتطلب إلى شقيقتها ليلى وزوجها
جلال أن يهيأ الظروف لهذه الخطبة بأن يتظاهرا بالمحبة
الفائقة والانسجام ، ثم بترتيب المنزل ، الأمر الذي
يتطلب المجهود الشاق والنفقات الطائلة : فليلى تقوم بشئون
البيت وخدمة زوجها وأطفالها مما يجهدا كثيراً ويجعلها
كثيرة العبوس ، والذي لا يقل عنها حدة في الطبع -

يتكبد مصاعب جمة في عمله وهو متوسط الحال .

فيفي تنجح في جعل الزوجين يمثلان دور المعيشة الزوجية الهنيئة ويتصنعان الغنى وتكاد بذلك تفقد كل أمل في زواجها من رستم ولكن الظروف تخدمها فيشهد رستم «خناقة حامية» بين الزوجين وينتهى الأمر بالخطوبة بعد أن يشرح رستم وجهة نظره ويسعد الجميع .

الفصل الأول

الأشخاص : ليلي ، فيفي — محادثة تليفونية .

ليلي — آلو مين .

فيفي — بونجور ياليلي ! أنا فيفي . أنا كنت خائفه
مالاقيكيش في البيت .

ليلي — وأنا يعني حا كون فين في الساعة دي ؟ وأسبب
الطبيع وشغل البيت لمين ؟ دي حتى البنت اللى كانت عندي

خرجت ، ومضطره أمسح ، وأكنس ، وأشوف طلبات
الأولاد .

فيفي — إنت عارفه أن رستم رجع من السودان ؟

ليلي — إني ؟

فيفي — طيب اظهري ولو بعض السرور . ده بقى له
سنتين غايب .

ليلي — طبعاً أنا مبدسوطه ، بس ملخومه جدا : الأكل
على النار ، والظيفه كثير حوالى ، معلوم مبدسوطه . هو اكليك
فى أمر الخطوبه والا لسه ؟

فيفي — متكلمش ! ومسافر كان يومين يشوف أهله ،
وبعد كده ، ينزل على الصعيد يستلم وظيفته الجديدة . وعلشان
كدة قلت أكلبك علشان تعزمينا عندكم فى الويك إند .

ليلي — مش شايفه العلاقه ؟

فيفي — أنا بقول إنكم تعزمونا اليومين دول ، ولما
يشوفك إنت وجمال ، ويقعد معاكم ، يمكن تجي المناسبة

ويفتح موضوع الزواج .

ليلي — لكن إنت عارفه إنتا مش منسجحين بالمرّة !
ده رح ياخذ فسكره زى الزفت اده يهرب بجاده !

فيفي — انت مش فاهمه خطتي . أنا عاوزاكم تبينوا
لبعض المحبة وتظهروا أنكم منسجحين على الآخر ، وعاشين
أحسن عيشه كزوجين متحابين .

ليلي — متحابين إيه وزفت إيه ؟ إنت مش عارفه جلال
وسماجته ؟ هو دا شكل ينحب ؟ متشوفي التقاليعه الجديدة
اللى طالع فيها اليومين دول : قال لازم اعزم مدرسات
دوللى علشان واحده منهم دمها خفيف .

فيفي — انت دايمًا سيئة الظن . والمره اللى فانت كانت
امرأة مش عارفه مين . على كل حال تقدرنا تتظاهروا
بالاتفاق التام ، والسعادة الزوجية . ويمكن لما رستم يشوف
كده ، يتجرأ ويطلب ، وطبعاً ما أوصيكيش أنك ترتبي البيت
جدا وتهيايه كده .

ليلی - إن كان علی البيت ، دی حاجه تتدبر : نأجر
صالون وأطعم سفره وشای من أى حته بس العقبه جلال.
فیفی - والله یالیلی اعملوا جهدکم . أظن أنا مش طالبه
حاجه کبیره قوی . ودى فرصه . نخساره تروح .

ليلی - حاضر . رح اعمل جهدى ، إذا كان ده یرضیک
بس إن شاء الله یكون بفایده . وحنه تظركم بقى بکره العصر
یاذن الله .

فیفی - مرسى یالیلی یا أموره . أنا عارفه إنى اقدر
اعتمد علیک . أرو فوار .
ليلی - أرو فوار .

الفصل الثانی

الاشخاص : لیلی و جلال .

جلال - (وهو یجلس علی کرسیه یرتعد للعشاء)
آه یابویا !

ليلی - بقي مفیش سعیده ولا مساء الخير ؟

جلال - اشمعنا الليلة یعنی ؟ سيبك من الكلام الفارغ
ده خليه للعريسان الجداد . احنا قدمنا بقي ، في إيه للعشاء .

ليلی - أما . . . (تهم برد لاذع ولـكها تتدكر فيني
فتحاول أن تتلطف) حته طبخه لكن على الكيف .

جلال - عال أيوه قولي بقي ياستي إيه الشيء المهم اللي
حتموتی وتقوليه ؟

ليلی - ياسلام على ذوقك . هوا ده حديث السفره
الشهى ؟

جلال - طب قولي بس بجرى إيه . كسبت نمره ؟
ليلی - اسمع ياسیدی فيني اتكلمت من شويه عاوزه
نعزمها هنا بكره هي ورستم الضابط ده اللي كان في
السودان .

جلال - عارفه ا عارفه ا ودي بقي لعبتك أنت وفيني
عاشان تشنكلوه ؟

ليلي . أما أنت لك كلام لكن زى الطوب .

جلال . بقى ده عقاب الأبطال ؟ « يسلم من الحيوانات المفترسه علشان يقع فى إيدك ؟ سبحانك ياربى !

ليلي . بس أسمع وسيدبك من النكت البايخة دى .

جلال — على كل حال أشمّعنا أنا وقعت ؟ خليه يدوق راخر . عاوزانى بقى أعمل إيه ؟

ليلي — عاوزاك أولا تظهر بمظهر الشهامة وتقابله كويس ترحب به وتشوف طلباته .

جلال — علشان نخفف الصدمه ده ؟

ليلي — وتحاول أنك تتلطف معاه ، وتبين أنك راجل بيت تحب مراتك وتشكر فيها وتسمع كلامها ومتكسففهاش أبداً مع الضيوف ومتخيش وشك وراء الجرنال وتنسّام وهما بيتكلموا .

جلال — وأنت تنادينى جوجو وتبسمى كل ما أبص لك وتصادق على كلامى ومتشتكيش منى لطوب الأرض ، بعبارة

أخرى تمثل دور زوجين متحابين ملهجمين سعيدين لأقصى
درجة في حياتنا الزوجية الناجحة .

ليلي - أهى دى الفكرة

جلال - وبعدين ؟

ليلي - أما نشوف أهو لما يشوفنا بالشكل ده ويدرس
أخلاقنا الظريفة دى ومعاملتنا المثالية مع بعض يمكن يطلب
البت . وهوا الجدع خسارة فى الحقيقة .

جلال - طيب ياستى لك على أن أقوم بكل طلباتك من
هنا ورايح لمدة اليومين دول . وعلى كل حال فىنى بنت طيبة
تستاهل الخير ، تحب أقوم أشيل السفارة ؟

ليلي - لأخليك مرتاح مدد رجلك على السكينة واقرا
جرنالك بس أفكر الصبح أن شاء الله تبعث للفراش يحبيب
لنا شوية حاجات نرتب بها البيت .

جلال - على عيني ورأسى .

الفصل الثالث

لیلی - جلال - فیفی - رستم .

فیفی - لیلی - جلال فا کرین رستم ؟

جلال - أهلا وسهلا رستم بك الحمد لله على سلامتک
مشتاقین یا אחی جداً ازای الاحوال کده ؟ أهلا فیفی هانم .

لیلی - أهلا ! أهلا ! رستم بك أنت اسمریت شویه
یارستم بك لكن اللون خایلك قوی ، وأنت یا فیفی ازیک
یا ماما ؟ أقعدوا أرتاحوا أما أروح أجیب الشای حالا .

جلال - خلیک یالوله . أنا أروح .

لیلی - لأخلیک أنت أقعد مع رستم بك أنا عارفه الرجاله
لما یتقابلوا یحبوا یتکلموا سوا فیفی جایه معایا (تخرجان)

جلال - أتفضل یا رستم بك .

رستم - أتفضل دی حتتکم حلوه هنا قوی .

جلال - أيوه أنا باحسد نفسي عليها وعلى القمر اللي
معايه دى مخليه البيت جنة يا أخى .

(تدخل الشقيقتان وبينهما طاولة الشاي) والإشى لما
تدوق الكعك بتاعها بقى . حاجة جنان !

ليلي - أنت لطيف قوى يا جوجو يا زوجي العزيز ،
إنما الطباخة البريمو بقى فينى أنا مش فاهمه البلد دى بتشتغل
طول النهار أزاى ، وترجع تطبخ أصناف مدهشة !

رستم - (بتكلف) أيوه أنا دقت أكلها مدهش صحيح .

ليلي - فينى أنت فستانك ظريف جداً هو دا جديد .

جلال - وفستانك يالوله فى منتهى الأبداع .

ليلي - ماهى دى نقاوتك يا جوجو فـاـكـر يوم
ما أشتريناه وصممت أنك تنزل كل الآتواب اللي فى المحل
علشان انقى اللي أنا عاوزاه ؟

جلال - نسيت إزاى ؟ الله أنت ساكت ليه يارستم

بك . تفضل كاس ويسكى فى الحر ده ؟ وخلي الشاى للستات .
رستم — (يتشاءب) وهو كذلك . جنينته كم حلوة قوى
يا ليلي هانم .

ليلي — البركة فى جلال . قال مش مكفيه شغله لازم كان
يرتب لى الجنينة ،
جلال — والله الفضل لها يارستم بك أنا مجوز جوهرة
والسلام .

ليلي — قومي يافيفي يا حبيبتي فرجى رستم بك على الجنينة
وأتمشوا شوية .
فيفي — أفضّل يارستم أحب أوريك خميتي المفضلة .

الفصل الرابع

الأشخاص — ليلي وفيفي ثم ليلي وجلال ثم رستم
ثم فيفي .
ليلي — ما تكلمش يافيفي .

فیفی — أبدأ ولا جاب سيره

ليلی — وأنا عملت كل جهدي وأدبك شايقة جلال مثل
تمثيل مدهش مش ملاحظة ؟

فیفی — أهو بقى زى بعضه .

ليلی — معلش يا حبيبتي كل شيء بأوانه . يمكن لسه
مرتبش نفسه بس المهم متزعليش نفسك ، إنت بتحببيه ؟

فیفی — أيوه على كل حال مرسى قوى ، سالى لى على
جلال ، أحسن الوقت فات ، ورستم سبقتى على المحطة .

ليلی — أرو فوار يا حبيبتي ابقى تعالى وطولى بالك كده .
تخرج فيفى دامعة ويدخل جلال فلا يتقابلان .

جلال هيه الشبكة ماصطادتش وإلا إيه ؟

ليلی — بس بلاش كلام فارغ !

جلال — بقى بعد التعب ده كله معرفتيش توقعه فى
الفتح ؟ يا خسارة !

ليلی — أنا ما أسمحلكش تتكلم كده عن أخى وتعب
إيه اللي إنت تعبته متشوف أنا طبخت قد إيه وغسلت كام

طبق ، وكذس ومسح ودوخه يعنى إنت كنت تستاهل ده كله ؟
جلال - متشوف فى أنا باعمل إيه طول النهار أخرج فى
دعى فى المكتب والمشوار من هنا ساعة رايح وساعة بجاي
عاشان خاطرك إنت وأولادك ومش عاجبك كان .

ليلي - إنت حاتشترى أسسلا فى بقى بالشغل بتاعك ؟
ينعل أبوها لقمة والله الواحد زهق من عيشته ، ولولا
العيلين لسكرت سبتك من زمان . بقى لنا عشر سنين متجوزين
تقدر تقول لى جيت لى فيهم إيه غير التعب ووشك اللي
مريض حكش للرخيف السخن ؟

جلال - يعنى إنت اللي شكك يسر القلب قوى ؟ ولا
لسانك اللي عامل زى المبرد عمرك شكرت فى حاجة جبتها
ولا قلت لى مرة كلمة حلوة وأدبنى سمعت كلامك ومثلت
الدور اللي طلبتيه وأرهقت نفسى بالمصاريف عاشان أرضى
غرورك وكان كله على إيه ؟

ليلي - يعنى هو أنا اللي انبسطت ؟ ما تشوف إدى
كرمشت إزاي ؟ (تنفجر فى البكاء) .

رستم - برافو (يصفق)

ليلي - أنا مكنتش عارفه إنك لسه ...

رستم - (بهدوء) فيفي بعثتي أجيب لها بالطاو كانت

ناسياه هنا من جمعيتين

جلال وليلي - إنت سمعت ؟

رستم - كل كلمة

ليلي - (تذهب إليه) وأنا كان عندي أهون على عين من

عيني تروح ولا تسمعشي إننا كنا عاوزين ..

رستم - تشنكاوني ؟ طب دي أحسن ما في الموضوع

لأن طبعاً لو لا إنكم شايفتني لائق لبلدكم مكنتوش حاولتم

المحاولة دي كلها وأنا من حال الأصل مياال جداً لفيفي

وأقدرها كل التقدير

ليلي - آمال جري إيه ؟

رستم - أنا كنت في الحقيقة متخوف من الزواج ،

كل يوم أسمع عن حالة طلاق واثنين ، بيوت تنهدم وأطفال

تتشردهم ففيش لا محبة ولا سلام كيانه مفيش رباط قوي

ومفيش أساس وطبعاً أنا مش عاوز النوع ده .

لیلی - طبعاً لا

رستم - ففضلت مروحن ساعة أقول أنقدم دی فیفی
بنت کویسه وساعة أخشى عاقبة سيئة فأكش تانى ، فلما
جت العزومة بتاعتكم قلت فكرة أهو الواحد يشوف محيط
البيت شكاه إيه ، ولكن على الأخص كنت عاوز أدرس
شخصين بقى لهم عشر سنين متجوزين دراسة ناقد وأشوف .

لیلی - إحنا عملنا كل جهدنا

رستم - مهي دی الغلطة وكنتم رح تخلونى أقعد أعزب
طول حياتى ا

جلال - إزای بقى ؟

رستم - من ساعة ما دخلت البيت وأنا لاقىكم عمالين
تتمحلسوا لبعض كلمات معسولة وتصنع شديد وفشخرة .
رمل أحمر ورمل أصفر وطقم العشاء غير طقم الغدا وذراعك
فى ذراعه ولا شتمة صغيرة ولا كلمة على الماشى ولا خناقة
بسيطة كاه عسل ا عسل ا دی حاجة تموع النفس لكن لما
جيت على غفلة ولقيتكم بتخانقوا ارتجت

جلال - ارتجت ؟

رستم — طبعاً يا أخى شفت إن الشخص مش ضرورى
أبدأ يفقد شخصيته لأنه تزوج ولما سمعتم بتناقروا بحدة
وبالرغم من كده بقى لكم عشر سنين عايشين سوا قلت لازم
الزواج ده رباط قوى وحاجة لذيذة حتى ان الناس بالرغم
من الزعل والخناق برده مبيسيبوش بعض

ليلي — مسمعتنيش باقول إني حاسيب البيت ؟
رستم — ولكنك فى الحقيقة مش ممكن حتسيبيه لأنه
بيتك فيه زوجك وأولادك وعفشك وجنينتك كل الحاجات
اللى كوتوها سوا ولا يمكن ان واحد منكم يستغنى عن التانى
وأخيراً اقتنعت بأن الزواج له مزايا : بيت وأولاد وعشره
وحب وزمالة وتبادل أراء وخناقات وصلاح حاجة عال قوى
فيفي — (تلهث تعباً) جرى إيه يارستم ؟ القطر فات
رستم — أنا قلت بالمرّة أطلب يدك من جلال بك
باعتباره كبير العائلة .

فيفي — رستم !
ليلي — (متأثرة) مبروك ! ألف مبروك !
جلال — ترجع تقول ياريتها مانسيت بالطو ؟
رستم — مش معقول !

شجيرة الجارونيا

كان جلال ريفيا ، حديث العهد بالمدينة الصاخبة ،
ولسكنه استطاع — رغم ذلك — أن يشق لنفسه طريقا
صغيراً غير معبد إلى دار الإذاعة ، وطريقاً آخر إلى بيئة
اجتماعية ، راقية ، لم تتخذ المال والجاه ميزانا لها في انتقاء
أفرادها ، بل الشخصية ، والعبقرية ، والأخلاق .

ثم وضعت المقادير في طريقه صديقة حسناء ذات
حساسية وذوق سليم في شخص سعاد .

التقى بها في حفلة عشاء عند أحد الأصدقاء ، وكان
مكانها قبالة تماماً ، فجلس يتأملها خلسة ، وأخذت هي
تبادلته النظرات خلسة أيضا . وما هي إلا دقائق حتى كانا
يلبيان في حديثهما دافعا أقوى من دافع المجاملة أو التأدب
في الحديث والسهر .

قالت سعاد رداً على سؤاله : تخرجت في كلية الزراعة

وآثرت العمل الحر ، فاشتركت مع صديقة لى فى
تجارة الأزهار .

وبعد برهة أضافت :

وربما استطعنا - فى العام المقبل - أن نوسع محلنا بعض
الشيء . إذا أقبلت التجارة .

وابتسمت فابتسم . وكان يود أن يقول أنه يريد لها
شيئا آخر فى العام المقبل ، غير تجارة الأزهار ، ولكن
الوقت لم يكن قد حان بعد فاكتفى بالابتسامة ثم قال :

أما أنا فأعمل فى الإذاعة . لست مديعا بالمهنى المهر وف
ولكننى طموح ، ولئى كل الأمل بأن أصبح مديعا فى القريب
العاجل ثم مخرجا .

ثم نسى حرصه الغريزى أمام هاتين العينين النجلوتين
واندفع يتكلم عن نفسه بحرارة وسخاء ، وكل همه أن يعطى
هذه الفتاة فكرة حسنة عن نفسه تظل معها إلى الأبد ..
وكانت هى تشجعه على ذلك بكلمة أو ابتسامة ، من آن
إلى آخر حتى انتهت الحفلة ، وافترقا على أن يتقابلا سريعا .

وهكذا بدأت بينهما صداقة أخذت أواصرها تشتد
حتى أصبح كل منهما يعتقد أنه خلق من أجل الآخر .
وحدث ذات يوم مشرق جميل ، أن قادها جلال إلى
باب تاجر الجواهر وقال :

« سعاد : عندي شيء هام أريد أن أقوله لك »
فحبست أنفاسها حتى لا تفوتها كلمة أو همسة ، ولسكنه صمت
فقالت — في صوت خافت لا يكاد يسمع — : وما
هو يا جلال ؟

قال : « لقد عينت مديعاً وسأبدأ عملي الجديد اليوم في
تمام الساعة الثانية مساءً » .

فلم تتمالك نفسها وقالت « يا للهناة » !
فقال جلال : « وهذا هو سبب مجيئي بك إلى هنا . أردت
أن تساعدني في الاختيار ،

فأطرقت في حياء وقالت : « ليكن ما تريد »
دخلت معه المتجر ، وكأنها تسير على سحابة وردية
اللون تحملها أفواج من الملائكة ، وسمعت جلالاً يقول للعامل

لقد عدت إليك يا صاحبي ، فهل أنت محتفظ بالأمانة ؟
ورأت الآخر يخرج من تحت الغطاء الزجاجي علبة
صغيرة تكسوها القطيفة الزرقاء ، فدأكت أصبعها انتظارا
للخاتم الثمين الذي سيحليه — ولا شك بعد ثوان . ثم نظرت
داخل العلبة ورأت . . . ويا لهول ما رأت . . . ساعة معصم
لرجل ! ثم أمسك جلال الساعة ووضعها حول معصمه ،
فصهقت وطارت جماهير الملائكة من حولها ، وذهبت
السحابة الوردية ، وهبطت سعاد إلى الأرض ، وارتطمت
بالحقيقة المرة ثم سمعت جلالا يقول :

وأحسن ما في الأمر أنها تجمع بين ساعة عادية وساعة
توقيت ، يستطيع المخرج بواسطتها أن يضبط طول الحديث
دون أن يلحق بالساعة الأصلية أى ضرر . أفهمت ؟

قالت : نعم فهمت .

ودفع جلال تماثيله غاليا جدا لهذه الأعجوبة ، ثم
التفت إليها وقال :

فلنحتفل بهذه المناسبة السعيدة .

وما أن جلسا فى المطعم الذى اعتادا ارتياده ، وطلب
جلال لهما الغذاء ، حتى أخذ يشرح لهما بأسهاب فوائد تلك
الساعة ، وكيفية استعمالها ، وما لها من الأثر فى ضبط
الأوقات ، وما يستطيع المخرج أن يقوم به إذا ما استرشد
بها ، حتى ضاقت ذرعها ، وقالت فى شيء من الغيظ :
إذن فالمخرج هو المهيم من حقيقة على الأذاعة . ومتى
تصبح مخرجا يا جلال ؟

قال : ليس هذا بالأمر الهين .

وعاد يتحدث من جديد عن آماله وأحلامه متى صار
مخرجا ، وكان على وشك أن يكشف لهما عن الفتاة التى
سيختارها شريكة لحياته وعن المستقبل الباسم وما إلى ذلك
ولسكنها قطعت عليه حبل تأملاته بأن هبت واقفة وقالت :
يجب أن أعود فورا إلى عملى ، وإلا ظنت زميلتى أن فى
الأمر شيئا .

ومعنت كالبرق الخاطف .

ذهب جلال إلى الاستديو ليشرّف على الاستعداد ،
ويبتسم للميكروفون ، ثم أتت الساعة الثانية فأذاع تلك
العبارات التي شغل طول يومه بترديدها وتكرارها ، ثم
جلس يمسح العرق الذي تجمع على جبينه ، فلبس صندوقاً
بجانبه عليه اسمه . فض الغلاف فرأى شجرة صغيرة من
الجارونيا وبجانها رسالة علم لتوه أنها من سعاد .
إنها لم تلس إذن ! فض الرسالة وبدأ يقرأ :

عزيزى جلال : أرجو أن تصلك رسالتى هذه قبل أن
تبدأ عمالك على موجات الأثير ، حتى لا تشعر بأننى أهملت
تهنئتك ، أو توانيت فى ذلك ، أو قصدت إيلامك بتركى
إياك فجأة فأنا أعرف مقدار حبك لى .

ولكن ، انظر إلى شجيرة الجارونيا يا جلال .

نظر جلال إلى شجيرة الجارونيا ولكنه لم يفهم شيئاً ،
فعاد يتصفح الرسالة :

لم تنم هذه الشجيرة وتسكبر يا جلال بواسطة ساعة توقيت ،
ولم يقف أمامها مخرج يضبط أوقاتها ، ويتفقد حركاتها حين

أخذت تخرج أزهارها اليانعة الجميلة ، بل كل ما احتاجته هو
بعض الساعات المشرقة . فهي حية جميلة زاهية لأنها أخذت
نصيبتها من ضوء الشمس . وهي تمثلني يا جلال ، وهذا هو
السبب في تركي إياك فجأة كما فعلت . وداعا . سعاد .

أخذ جلال شجيرته وشقاوته إلى أحد المقاهي ، وطلب
قدحا من الشاي ، وجلس يفكر . برد الشاي ، وذبلت
الشجيرة ، وهو غارق بين تأملاته ، وحاول أن يقتنع
الشجيرة ولكن عملي يحتم . . . لا نستطيع أن نعيش
جميعا في ضوء الشمس . .

وحدث في الشجيرة ولكنها أمعنت في الصمت وغالت
في الذبول . وفجأة طرأت عليه فكرة عظيمة ، فتبددت
الغيوم من أمامه وقال في صوت قوى مخاطبا الشجيرة .

هيا بنا . والله لأضعنك في تربة تشترى بالمال ، ولأغذينك
بقلي ودمي . سوف ترين .

وحملها ، وخرج من المقهى ، سعيدا ، متفائلا ، بحمله
الجديد .

مر أسبوع منذ أرسلت سعاد شجيرتها إلى جلال ، ولم
تسكن أسعد منه حالا ولمكن كبرياءها وحبها له ألبا عليها
الاتصال به فتبدل إشراقها عبوسا وحيويتها حزنا وذبولا .
وإذ كانت تفكر ألف مرة فى الاتصال به وتتردد ألف
مرة كذلك ، سمعت يوما جرس التليفون يدق وأتاها
صوت جلال المحبوب يقول : سعاد ؟

قالت : نعم .

قال : حبيبتي : أقرينة أنت من الراديو ؟

قالت : نعم .

قال : أطلقى صوت الراديو ثم عودى إلى التليفون .

عرفت سعاد أى محطة للإذاعة يعنى ففعلت كما طلب ،
ثم عادت وأمسكت بالسماعة ، فقال :

سوف تسمعين حديثا من إخراجى أنا ، فانصتى جيدا
واحفظى بسماعة التليفون على أذنك .

وما أن انتهى من حديثه معها حتى سمعت صوتا على

موجبات الأثير يقول : هنا القاهرة . الساعات المشرقة برنامج
من إخراج الأستاذ جلال . أيها المستمع الكريم : اجلس
بجسدة مريحة ودع عضلاتك ترتخي ، واشعر بالراحة والهدوء
وأنت تستمع إلى .

هلا علمت أننا نسرع كثيرا في كل خطوات حياتنا ؟
واننا عبيد للساعات الدقاقة وغير الدقاقة ؟ لقد كنت أسير
في هذا الصباح في إحدى الحدائق العامة أنظر إلى الأزهار
وأأمل جمالها . وبخفة أدركت أن الوقت لا قيمة له ولا معنى
عند هذه الأزهار ، بل كل ما يعنيه هو أشعة الشمس . ففى
تعيش بالساعات المشرقة ومن أجملها .

ألمت معى أيها المستمع فى أن هذه الساعات هى أهم
ساعاتنا نحن كذلك ؟ تذوقها إذن . ولقد صممت هذه الدار
على أن تعطيك منها قدر ربع ساعة كل صباح بعيدا عن هموم
الدنيا ومشاغلبها .

ثم سمعت جلالا يقول فى التليفون :

هذه فكرتك ياسعاد وسوف أعطيك عنها نسبة مئوية

عالية نضعها في البنك لحساب أطفالنا. استقلى سيارة وأسرعى إلى ، يا حبيبتي ، لنمضى معا عقدا لإذاعة فسكرتك هذه ، وأحضري معك شجيرة أخرى من الجارونيا إذا كنت تحبيننى ولتكن هذه ميثاقنا .

فقلت : يا أحضر الشجيرة يا جلال . وأرخت السماء ، وهرولت على السلم إلى الباب ، ثم إلى السيارة وكانت كلمات المذيع تصل إليها من المنازل والمقاهى على طول الطريق . . . يلغى ألا نجعل الأوقات والمواعيد تقضى على حياتنا ، فلنتأخر اليوم عن بعض مواعيدنا ولنقف نتأمل ظل سحابة فوق حقل ، أو ابتسامة رقيقة على وجه طفل . . ولنعش الساعات المشرقة وبها . .

فكانت الساعات المشرقة تطوقها وتحيط بها إلى أن وصلت .

الأرملة ثان

دق جرس الباب فهرعت لأفتح، ولكن خادمي العجوز كانت قد سبقتنى إلى ذلك، وعادت إلى ومعها برقيتان ووقفت تنتظر.

فضضعت البرقية الأولى ووجدتها من زكية، أرملة ابن خالي وصديقي المرحوم عبد العظيم بك الذى توفى منذ أيام، تدعونى فيها للإسراع إليها فى قرية البحرية فدهشت بعض الشيء. وفضضت الثانية فوجدتها رجاء حارا من أرملة عبد العظيم بك الثانية دلال تدعونى لزيارتها فى نفس العنوان. وقارنت الرسالتين فلم تختلفا سوى فى الأمضاء، كان فى الأولى زكية، وفى الثانية دلال، أما فحوى الرسالتين فواحد.

لم يكن موضوع الرسالة غريبا فى حد ذاته فقد لعبت مع عبد العظيم طفلا، وعرفته يافعا ثم شابا، ثم رجلا،

وعرفت كل صغيرة وكبيرة عن معاملاته المالية وصفقاته التجارية ، وكنت أستطيع أن أحدد رصيده في البنك الذى أديره أنا منذ سنوات إلى أقرب مائة جنيه ، ولم تسكن صاقي هذه بابن خالى لتخفى على أرملة فلم يكن غريبا إذن أن تتجه إلى فى محنتها للنصح أو للحماية ، وليكن الغريب فى الموضوع هو أن تطالبني أرملة بـ بنفس الشيء فى وقت واحد فى برقيتين أرسلتا من نفس المنزل !

وشعرت بعينى العجوز على فقالت : « جهزى حقيبة الملابس فقد دعيت للسفر فجأة » .

فقلت : ولها على دلال الخادم الأمين - وهل ستكون فى بلد فى آن واحد ؟

قلت : كلا . لماذا ؟

قلت : برقيتان .

قلت : من نفس الجهة من شخصين مختلفين .

قلت : -وقدأكلها الفضول - ولم لم يشتركا فى إرسال

برقية واحدة إذن ؟

قلت لأنهما سيدتان .

قالت : همه اومن هما ؟

قلت : أرملتا ابن خالى المرحوم عبد العظيم بك .
ألا تذكرينه ؟

قالت : نعم . هذا الذى مات أخيرا وليكنى لم أر زوجته .
قلت : ولا أنا . لم أرهما قط فى حياتى .

قالت : أليستا مبكرتين فى دعوة الرجال ؟ وما شأنك
أنت بهما ؟

قلت : لم أعد فى شبابه الأول يا قنوع وهما أرملتا ابن
خالى وقد أستطيع مساعدتهما فى شىء .

قالت : لا أعتقد . وأيضا رأيت فى فنجانك هذا الصباح
سكة سفر وسيدتين : واحدة سمراء والأخرى شقراء
وقتلا وفضيحة .

قلت : كفاك شعوزة اسأعود إليك غدا بصحة جيدة
بمفردى إن شاء الله فاطمئنى بالا .

ومضت ترتب الحقيبة ونهضت لاستعداد أنا الآخر ، بعد
أن نظرت في شيء من الأسى إلى مقعدى الوثير وزجاجة
البيرة المثابجة التي كدت أنعم بهما . ولكن داعى الواجب
— أو إن شئت الصراحة — دافع الفضول كان قويا فأسرعت
لألحق بالقطار ووجهتى قرية البحرية . ورأيت من نافذة
القطار ذهب الحقول وقد اختلط بعسجد الشمس فأمسى
دافئا ناعما ، ومالت السديلة على أختها السديلة فى رقة وحنان
لتسر فى أذنها دعاية اللسيم فتمايلت أعطافها مرحا وتيهما
فغبطت الطبيعة على حماها وبراعتها ، ولكن عقلى الباطن كان
يعبث بكلمتى الفجور والفتنة .

وهذا القطار من سرعته استعدادا للوقوف وتذكرت
أنا حرج موقفى فأى الأرملتين أحيى أولا ، ولأيهما أتجه ،
وأخيرا قلت فى نفسى ربما قابلتنى إحداهما على المحطة فينتهى
الاشكال . ووقف القطار ووصلت أخيرا وتخاطف السماسرة
جماهير المصطافين وبقيت أنا وحدى أتلفت يمنة ويسرة
فلم أجد حولى سوى إعلانات البيرة وصورة ريفية جميلة
تحدث جارتها من فوق جبل الغسيل مبهجة ولاشك من

نوع الصابون الذي تستعمله ! أما للأرملتين أو إحداهما فلم أر أثرا .

وقفت وفي يدي حقيبتى وقد صعدت رائحة البحر إلى رأسى وأحسست بحبي الدفين لمائه وملحه ورملة وزرقته وثورته وكبريائه وكنت أنسى سبب وجودى في هذه البقعة وكنت أطيّر إليه وترددت هنيئة . هل أطيّر يسارا إلى البحر الصاخب ذى الأمواج العالية أم يمينا إلى النائم الحالم ذى الزرقة الصافية والقلاع العاجية ؟ ولم يطل تفكيري فقد ربت على كتفى رجل متقدم فى السن يرتدى الملابس البلدية وقال :
« هل حضرتك طلعت بك » .

قلت : نعم

قال : وأنا عبد الرجال علمت بدعوتك إلى منزل عبد العظيم فأتيت لمقابلتك . شرفت بلدنا . ومد يدا غليظة يصافحني فأعطيته يدي بحذر ثم قلت :

« تشرفنا » ولم أشعر بأى شرف ينالني من مقابلته ولا ارتاحت نفسي لعينيه الصغيرتين الكثيرتي الحركة . بل

بالعكس شعرت بذكائه الدنيء ونفرة عجيبة منه رغم بشاشته
وتكرار التحية .

قال : مادمننا متجهين إلى نفس الدار تفضل معي فسيارتى
فى الانتظار .

قلت : وقد حرت كيف أعامله — شكرا فأنا أجهل
الطريق .

وقادنى إلى خارج المحطة فتكاثرت علينا باعة السمك
بسلاهم ولاكن عبد الرجال أبعدهم بغلظة قبل أن أمتع النظر
بتلك المخلوقات الفضية الجميلة، وطارت بنا السيارة فى طريق
كاه رمل وأشواك برية وكانت أشجار النخيل الباسقات تطل
علينا من عليائها وتحت أقدامها أكواخ الصيادين وبين آن
وآخر كان يخرج إلينا طفل من إحداها ويشير إلينا بالتحية
أو تخرج إعرابية تلبس الحزام الأحمر العريض فوق ثوب
أسود فضفاض وقد وضعت يدها فوق عينيها لتركن نظرها
على البحر الهادىء حيث زوجها بمر كبه وشباكه وقد يطول
العمر وقد لا يطول !

رأيت كل هذا من نافذة السيارة الفخمة، وكدت أطرح
عنى ثوب رجل المال وأسبغ فى دنيا الأحلام اللائذة
ولكن صوت عبد الرجال الأبحش كان فى أذنى كدوى
المدافع :

« الحقيقة يا طاعت بك هى أن موت عبد العظيم أتى
مفاجئاً لنا جميعاً فسارعت إلى الأرملةين بحكم المصاهرة
والجوار .

قلت : آه

قال : زكيه وصلت هنا يوم الخميس الماضى أى يوم وفاة
عبد العظيم أما دلال فكانت هنا بطبيعة الحال .

قلت : وأنت ياسيد عبد الرجال متى وصلت إلى هنا ؟

فرمقنى بنظرة حادة ثم قال : « مساء الخميس » ثم بعد برهة
أضاف « أليس من الغريب أن يترك عبد العظيم أموره المالية
فى مثل هذا الارتباك ؟ »

ولما لم يظفر منى بجواب قال : أى الأرملةين تعرف ؟
زكيه أم دلال ؟

قلت بمنتهى الصدق — لا هذه ولا تلك .
وأثارت كلتي هذه مرحة الشديد فألقى برأسه إلى الوراء
وضحك حتى دمعت عيناه ثم قال :
إنهما متشابهتان إلى درجة كبيرة في كل شيء ، وستجد
الحرب بينهما شعواء فلن تتنازل إحداها لمصلحة الأخرى
قيد شعرة . إنى لا أحسدك على موقفك يا سعادة البية ثم عاود
الضحك .

فقلت : — فى وقار — ما جئت لأكون حكما بينهما
فهذا من شأن المحامين .

وقد أصابت جملة هذه جلده السمين أخيرا فأسكته
ولم يتكلم حتى لاحت الدار ، ونظرت إليها وإلى الحدائق المحيطة
بها وكانت بمثابة قصر نغم بناه صاحبه يندخ شديد فقيهه ولعب
للتنس وحمام للسباحة وحدائق مترامية وكنت بحكم علاقتى
المالية بعبدالعظيم أعلم أنه أنفق كل ثروته فى عمل هذا المرح
الشامخ وتزويده بأحدث المعدات ثم أن زراعة الحدائق
وتدسيقها على النظم الأوروبية كلفته الشيء الكثير .

نعم — كان دخله كبيرا ولكن معدل ما كان ينفقه كان

أكبر، وأخذت أعمل إحصائية سريعة فيما يعادل هذا الصرح
من نقد وما سيؤول إليه ذلك بعد خصم الضرائب المستحقة
لأسيما وأنه لم ينبجأ أولادا . وأخيرا وصلنا إلى عهد من
الرخام الأبيض هي المدخل الرئيسى للمنزل . ورأيت سيدتين
واقفتين تقدمتا نحوى للتحية بمجرد أن وصلت السيارة .
وفى نظرة شاملة وجدتهما شديدتى الشبه كل منهما بالأخرى
ومع أن الفارق بين زكيه ودلال كان زهاء الخمسة عشر عاما
إلا أنهما كانتا فى شكلهما العام توأمتان من حيث القامة
المنتصبة الهيفاء والشعر الفاحم المتدلى والبشرة الناصعة البياض .
وتقدمت دلال صغرى الأرملةتين ومدت يدها تصافحنى
ولاحظت فى أصبعها الثانى خاتما ثميناً من الماس وحول
معصمها سوارا غاليا ، أما على صدرها فوقفت فراشة من
الماس والزمرد غاية فى البهاء ، صافحتنى ثم تقدمت زكيه
لتصافحنى هى الأخرى ، ووقف عبد الرجال يرمقنا جميعا
بنظرات ملؤها الشك والحيرة . ثم دعتنى دلال بصفتها ربة
المنزل إلى حجرة الاستقبال وجلسنا نستريح من عناء السفر
وكانت صورة عبد العظيم تعال علينا من إطارها الذهبى الضخم .

واختلست النظر إلى الأرماتين فوجدتهما تحت ضوء
الكهرباء القوي تختلفان مظهرًا وجوهرًا فبينما كانت ملابس
دلال بسيطة أنيقة إلا أنها كانت تبدو لعين أعزب متمرن
مثلي - باهظة الثمن وكانت الجواهر التي تحلى بها صدرها
ومعصمها فريدة في نوعها .

أما زكية فكانت زينتها في قسَمات وجهها الكريم لم
يحل جيدها طوق من ماس أو ذهب ووصل طرف ثوبها
المتواضع الأسود إلى أخمص القدم .

وقامت دلال بواجب الضيافة على الوجه الأكمل فدعتنا
إلى عشاء فاخر جهزته يد فنان وأجهز عليه عبد الرجال
بغير حساب أو دعوة مما جعل السيدتين تنظران إليه شذراً
أكثر من مرة . وانتهى العشاء وكان الحديث عاماً لم نخرج
فيه على الرسائل أو البرقيات وأخيراً ونظراً لوجود عبد الرجال
قلت : « سيداتي الوقت متأخر وأنا رجل عجوز . سوف
نبقى موضوعنا لفرصة أخرى » .

فقامت دلال لتوها وقالت : سأخذك إلى غرفة نومك .

واعتذرت لعدم وجود خادم مقيمة في المنزل وصعدنا
الدرج معا وعلى باب غرفتي وقفت فوقفت ثم قلت لها :
« لم أرسلت إلى ياسيدة دلال » ؟

فكان ردها أن ابتسمت في فتنة نسيت مفعولها منذ
سنوات عديدة ، ثم وضعت يدين بضتين على ذراعي ،
واقتربت بفمها من فمي لدرجة يخشى منها على قلب رجل أقل
ثباتاً أو خبرة ، وغمرتني رائحة الشانيل نمرة ه ثم قالت :
« لآتي في حاجة إليك » .

فابتعدت عنها بجرعة عصبية أحسستها فتركت يديها تسقطان
إلى جنبيها وقلت وكل ما أستطيع أن أنصح به هو أن تضعي
مشاكك في يد المحامين .

ونظرت إلى طويلاً ثم قالت : « إنك على حق ، أسعدت
مساءً يا طلعت بك » .

وابتعدت وكأنه لم يحدث شيء ودخلت إلى غرفتي
وجالست على السرير أنتظر حتى سمعت بقية من بالمنزل يصعدون

إلى غرف نومهم . وما أن اطمأننت عليهم حتى نزلت بسرعة
وهرولت إلى الشارع قاصداً أقرب مقهى ، ومن حسن الحظ
أننى طلبت فنيجانا من القهوة قدمه لى صاحب المقهى بنفسه
ثم استدلت منه على مكتب التليفون العمومى فقال أنه يعمل
فى شهور الصيف ليل ونهار وبالغ فى إكرامى عندما نفحته
ورقة من فئة الخمسة قروش ثمناً لقمح القهوة ، وقادنى
بنفسه إلى مكتب التليفون وجلس معى نتسامر إلى أن أتت
المسكالمات التى طلبتها من العاصمة ، ولنا نحن رجال الأعمال
وسائنا الخاصة فى الحصول على المعلومات التى نريدها .
وأكملت مهمتى ثم عدت أدراجى إلى المنزل وكنت متحرفاً
بعض الشيء من انكشاف أمرى ولم يكن ثمة داع لهذا فما
أن قاربت المنزل حتى رأيت شعله من نور ، كما رأيت السيارات
الحكومية فى طريقها إليه وعدداً من رجال البوليس يروحون
ويغدون ولم تكن الأوامر قد صدرت إليهم بمنع الدخول
أو لم يرنى المسكاف بحراسة الباب . على كل حال دخلت
الردهة ووجدت الأرملة وأقفتين وقد ظهرت عليهما
علامات الرعب والفرع .

واتجهت مع البوليس نحو غرفة الاستقبال ورأيت
عبد الرجال ملقى على الأرض فاقد النطق وممسكا صدره
بيده كمن يحاول تخفيف الألم وعلى مقربة منه المسدس
المشثوم . .

انتهى المحققون من مهمتهم قبيل الفجر وتركوا المنزل
أخيراً ومضت الأرملتان في حالة إعياء شديد كل إلى غرفتها
وبينما كنت أراقبهما تصعدان الدرج ففكرت فيمن
منهما قتله .

لم ينوه المحققون عن فكرة القتل مطلقاً أثناء التحقيق .
لقد أخذوا أقوالنا وبصمات أصابعنا وسمعوا قصتي التي أيتها
صاحب المقهى وعامل التليفون ثم سمعوا قصتي الأرملتين
وكاتتا متطابقتين بشكل عجيب فكل منهما كانت في مخدعها
حين سمعت دوى الرصاص ، وكل منهما فكرت برهة ثم
نزلت تستكشف الخبر ، ووصلت الاثنتان معا إلى غرفة
الاستقبال في نفس الآونة ، ووجدتا عبد الرجال في الوضع

الذى وصفته ، واتصلت دلالات بالبوليس وقد حاولتا إيقاظى فلم يجدانى فى المنزل وخشيتا على غائرة اللصوص فبحثتا عنى فى الحدائق . ولما سئلتا عما إذا كان موت عبد العظيم قد آلم صديقه لحد الانتحار أكدتا بعد احتمال هذه النظرية ثم انصرف رجال البوليس دون أن يوجهوا التهمة إلى أحد منا .

لم يكن انتحارا ولكنها كانت جريمة قتل .

ومن الغريب أننى ذكرت خادمى العجوز قنوع فى تلك الآونة ولم أعلم ارتباط خادمى فى العاصمة بحادث فى الريف ولكن عقل الإنسان كثيرا ما يربط موضوعا بآخر لعلاقة له به ظاهرا ولكن ألم توعد هى إلى بفكرة القتل هذه ؟ كأنها كانت تسبق الحوادث ؟ .

على كل حال كان الفجر قد بزغ ولم أشعر بالنعاس فذهبت إلى غرفة الاستقبال لأدرسها مرة أخرى . كانت الغرفة كما تركها المحققون فيما عدا المصاب الذى كان قد نقلته الإسعاف بين الحياة والموت ولكن طابع الرجل المقتول

كان لا يزال فيها ثقيلًا مقلقًا واسترعت التفاتى بعثرة أثاث
الحجرة فلم يبق مقعد واحد فى مكانه لم يحرك وحتى السجادة
طويت وألقيت فى أحد الأركان ثم صورة عبد العظيم كانت
تميل بشكل واضح لا يمكن أن يتخاضى عنه خادم مهما كان
حد يثا فى المهنة ولم تسكن كذلك بالأمس .

سرت نحوها ، ولأنى رجل تعود الترتيب فى كل أعماله
وجدتنى بحكم العادة أعيد المقاعد إلى أماكنها التى شغلتها
بالأمس وبدون تفكير وجدت أن أسفل الاطار يعاوى
بقدر شبر على الأقل فلا بد أن تسكون يد قد حركت الصورة
عمدا فوقفت أمامها هنيهة ثم أخذت مقعدا ووقفت فوقه
وانظرت خلف الصورة .

بعد دقائق أعدت الصورة إلى وضعها الأسمى ، وأعدت
الكرسى إلى مكانه وجلست عليه ، وشعرت بأن كارثة جديدة
لا بد حالة وحالة بسرعة فجلست أنتظر . وكان جو الحجرة
يبعث على القلق ودقات الساعة البعيدة تنذر بقضاء عاجل

وبعد هنيهة سمعت هفرفة آتية صوبى فجمد الدم فى عروقى
وطلبت إلى الله ألا يكون بالمانزل مسدس آخر أو آلة حادة !
ثم رأيت زكيه تدخل الغرفة على أطراف أصابعها وما أن
رأتنى حتى جمدت فى مكانها ولم أستطع الوقوف لها لأننى
لم أعد أعرف كيف أستعمل ساقى .

قالت : لقد قتله دلال .

قلت فى نفسى هذا هو المنتظر أن تتهم كل منهما الأخرى
بقتله ثم قلت : « لماذا » .

قالت : لا أدرى ولكنى أرجح أن للمال علاقة بهذا
فعبد الرجال لا يحامل أحدا .

قلت : زكية هانم لم أرسلت إلى ؟

قالت : لأننى وجدت عبد الرجال هنا وأنا لا أرتاح إليه
بل أخشاه وكنت أريد منك إبعاده . ولكنى لم أقتله بل دلال
هى التى قتله فلم يكن بالغرفة سواها .

— كلا لم تقتله دلال ولكنك أنت التى قتله يا فاجرة .

وكان هذا صوت دلال من الباب أتى علينا كالصاعقة
وانظرت نحوها فإذا بها في ملابس النوم وفي يدها مسدس
شهرته .

لم تكن القوة يوما من هواياتي وخشيت مغبة هذه التهم
فقلت في هدوء يعلم الله كم كفى وأنا أرى المسدس في يد دلال :
« إننا جميعا متعبون الآن فأقترح أن تقوموا بإكمال زينتكما
بينما أعمل أنا فنجانا من القهوة . والتفت إلى دلال وقلت
مبتسما « مسدس من هذا ؟ »

قالت : مسدسي أعطانيه عبد العظيم .

قلت : وما الغرض من وجوده في يدك الآن ؟

قالت : وشعرت أنها صادقة فيما تقول — لا أدري .

قلت : إذن أعطيديه فسلته إلى وأنا لا أكاد أستطيع
إخفاء سروري ولهفتي . وذهبت السيدتان إحداهما لتكمل
زينتها والأخرى لتخفي ما تبقى من معالم جريمتهما .

وذهبت أنا إلى المطبخ لعمل القهوة ورأيت تلك

الآلة السوداء في يدي فقدفت بها في صفيحة الدقيق التي وجدتتها
أمامي . وغلى الماء مرة وسال على الأرض وغلى مرة أخرى
ثم شعرت أنني تغيبت مدة كافية فعدت إلى حجرة الطعام
وبيدي صينية القهوة وتبعثني زكية في ثوب الليلة الماضية وقد
عقصت شعرها إلى الوراء ثم بعد برهة وجيزة أتت دلال في
ثوب من التيل الأبيض وقد احتفظت بكل جواهرها وتهدت
ثم قلت : « سيداتي أرى أن الوقت المناسب لدراسة مشاكلنا
المالية لم يحن بعد وأقترح إرجاء بحثنا إلى فرصة أخرى » .
ثم استطردت بعد برهة وجيزة - على فكرة لي رجاء أتمنى أن
أجاب إليه : تعلمان ما يكنه صدرى لعبد العظيم من صداقة
وأخوة فإذا لم يكن لديكما مانع أرجو أن تسمحجا لي بأخذ
صورته أحلى بها حجرة مكثتي » .

وقفزت عينا دلال من مآقيهما عندما سمعت ذلك ثم رفعت
منادى لا معطرا لعينيهما وقالت بصوت رقيق حنون : « لم أكن
أعلم مقدار حبك لابن خالك . طبعاً نأخذ صورته فأنا أعرف
أنك سوف تسكرمها كل الإكرام » .

أما زكية فانتظرت حتى انتهت دلال من كلمتها وقالت :
« أما أنا فلا أوافق على أخذك الصورة لأنها تذكر حبي
القديم قبل أن يمتزج بالآلم فقد استقدم والدى فنانا مشهورا
لرسمها يوم أن كنت وابن عمى فى أوج سعادتنا وحبنا قبل
أن يعرف دلال . فإن كان هناك من يستحق شرف الاحتفاظ
بهذه الصورة فهو أنا » .

وكان هذا فصل الخطاب .

وعرفت أنا ما كنت أريد أن أعرف فاستأذنت
وخرجت من الغرفة على عجل .

* * *

ذهبت إلى الجراج وفتحت أبوابه وما أن حاولت إخراج
السيارة حتى اندفعت إلى دلال وهى تلهث .
إلى أين ؟

قلت : إلى نقطة البوليس وياحبذا لو قت أنت بقيادة
السيارة فقد يكون هذا أسلم .

قالت : أو تريد أن تقول أنها . . . وقفزت مكان السائق
وطارت بنا السيارة إلى نقطة البوليس فوجدت الضابط الذي
قام بالتحقيق في الليلة السابقة جالسا إلى مكتبه وأمامه مسدسه
وقال مبتسما .

لقد ثبت من الفحص أن البصمات على المسدس كانت
بصمات عبد الرجال والمرجح أنه انتحر وقد كنت عل وشك
الاتصال بكم تليفونيا .

قلت : ولكن لدى من الأدلة ما يثبت عكس ذلك .
إذا قمت بتفتيش منزل عبد العظيم بك لوجدت مجموعة
من الكمبيالات بكميات ضخمة باسم عبد الرجال بمضادة من
عبد العظيم ولكن الإمضاءات كلها مزورة .

ثم أطلبك بإلقاء القبض على السيدة دلال بصفتها قاتله
عبد

ولم أكمل الاسم لأنها اختطفت مسدس الضابط وأطلقت
رصاصةين طائشتين ثم ثالثة أصابت زجاج النافذة وبعد ذلك
كانت بين ذراعى الضابط الحديديتين ولم يكن يشبه روميو

ولا هي جولييت ولم يتركها حتى أتى بعض رجاله فسلمها إليهم
وقال :

يغلب على ظني أنها تخفي تلك الأوراق بين طيات ملابسها
ادعوا إحدى القرويات لتفتيشها . واحمر وجهه خجلا فقد
كان شابا في غاية من التهذيب والحياء . وفعلا لحسن حظ
التحقيق وجدت الأوراق وتسلمها الضابط فلم يكن عندها
الوقت الكافي إذن لإخفائها أو إعدامها لقد أجبت تقدير
الوقت إذن وأنقذت الأرملة البريئة .

خرجت من تحت المكتب الذي اتخذته درعا مؤقتا ثم
أخرجت مندبلي أمسح به بعض الأثرية العالقة بوجهي ويدي
محاو لا بهذه الحركة إنقاذ ما أمكن من وقاري الذي قاسى
ما قاسى وبعد إجراء بعض الرسميات عدت معه إلى المنزل
حيث وجدنا السيدة زكية جالسة بجوار نافذة مغلقة وقد
وضعت راحتها الشمال تحت خدها بينما ارتكزت يمينها على
ركبتها كمن ينتظر وشعرت وأنا أنظر إليها أنها قد أمضت معظم
حياتها في انتظار حزين .

وقفت لتحيتنا وقد ارتعشت شفتاها وكانت الأخبار قد سبقتنا إليها ثم جلست وقال الضابط ردا على استفسارها : « لقد أقرضها عبد الرجال مبالغ طائلة وظن أنه يقرضها لصديقه عبد العظيم أثناء مرضه ولكن هي التي كانت تزور الإماءات قلت : نعم .

قال : ولكنه أدرك أخيرا أن هذه الإماءات مزورة ومع ذلك أثر الصمت . قلت : مؤقتا .

وقالت زكية : إن لهذا النوع من الناس طرقهم في الحصول على حقوقهم . قال الضابط : أو تعرفينه إذن .

قالت : كنت أعرف عنه الكثير عندما كنت أعيش في هذا المنزل منذ أعوام .

قال : وهل كان زوجك سعيدا مع دلال أم كانت تفضل عليه شخصا آخر ؟

قالت : الله أعلم لم أر شيئا بنفسى ولا أريد أن أظلمها .

قال الضابط باظف : أنت لا تظلمينها لقد قتلت نفسا حرم الله قتلها .

قالت : القتل شيء والعار شيء آخر . اذكر أن عبد العظيم ابن عمى وما يشينه يشيننى . بالله عليك لا تفضحها إكراما لشرف أسرتنا فلم يجبه الضابط بل التفت إلى مرة أخرى .
إن وجود عبد الرجال هنا كان له معناه قطما .

قلت طبعاً لم يطمئن على ماله وأتى يطالبها به بمجرد موت زوجها وحتماً هدها بإفشاء سرها وكانت الأوراق فى جيبه فبعد أن قتله أخذتها من حافظته وأخفيتها وراء الصورة بسرعة مما جعلها تميل بشكل واضح كان أول ملاحظت عند دخولى إلى غرفة الاستقبال . وفعلاً وقفت على كرسى ووجدت الأوراق ودرستها ثم أعادتها إلى مكانها الأول وانتظرت الحوادث .

وخشيت مخبة الانتظار إن هو طال فطلبت الصورة لنفسي لأرى رد فعل كل من السيدتين قائلاً فى نفسى أن القاتلة

لن تريد مذكرا مستديما بجرمها بل تفضل حتما التخليص منه.
لم تكن دلال إذا كريمة في التنازل عن الصورة .

« وهناك نقطة أخرى يا حضرة الضابط لقد استلقت
نظري مقدار الأحجار الثمينة التي كانت تلبسها دلال ثم
ملا بسها الغالية وكنت أعرف بالضبط دخل عبد العظيم
فلم يكن يسمح له مطلقا بتقديمها لها ثم وجدت عبد الرجال
هنا بغير دعوة ولاحظت تصرفه الذي كان يفهم منه أن له
حقا معترفا بها. كنت أريد لـكل ذلك تعليلا منطقيا وهذا
هو السبب في خروجي ليلة البارحة وقد وجدت التعليل
الذي كنت أخشاه . »

قال الضابط: بقي عليك أن تفسر لي كيف بدأت شكوكك
في أمر دلال .

فتنهدت ثم قلت : جرت العادة أنه إذا اتصل شخص
بمدير البنك الذي يعامله كان لهذا تأويل واحد وهو اقتراض
المال، أما إذا استدعاه بصفته ابن الخال كما فعلت السيدة
زكية فهذا أمر آخر .

فسألني الضابط : هل طلبت إليك دلال إقراضها بعض المال؟

قلت : ليس هذا تماما

وابتسم الضابط لأول مرة ثم سألني متخابثا: هل تقصد أن تقول . . هل فاتحتك . . أى أرادت . . وبجهد استطاع أن يكبح مرجه .

وكافأتني زكية بابتسامة دافئة وخشيت على قلبي من أن يفتن بجملها فهبت واقفا وغمغمت بكلمة اعتذار سريعة ثم هرولت إلى المحطة وآثرت الانتظار في الشمس المحرقة على خطر الأرامل الجميلات فلـ كل منهن سحرها وسلاحها!..